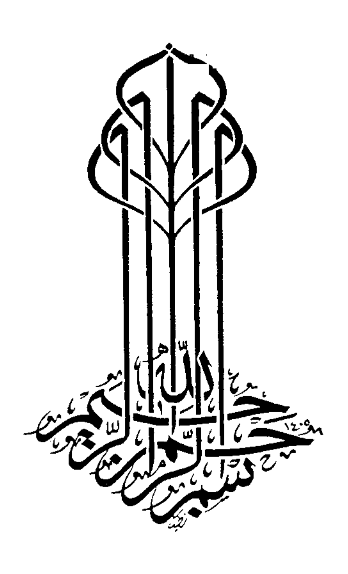


الندوة العالمية للشباب الإسلامي

ردّ شبهات القس سويقارت في مناظرته الشيخ أحمد ديدات

تأليف

الدكتور حسن باجودة

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، وآله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . وبعد .

فإن الصراع بين الحق والباطل متواصل إلى قيام الساعة، تحقيقاً لقانون التداول الإلهي الذي نص عليه قوله تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾ وقد حرص الدين الإسلامي على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة الكفار بالتي هي أحسن رغبة في إقامة الحجة وإبراء الذمة، وهو ما سار الداعية أحمد ديدات عليه في مناظرة بعض الرؤوس المفكرة للديانة النصرانية فكان ذا منهج متميز في هذا الجانب لعلمه المتميز بأسرار كتبهم وما حوت من تحريف وتناقضات يرفضها العقل السليم وتتنزه عن مثلها الرسالات السماوية .

ومظاهر التحريف والتشويه في المصادر النصرانية أكثر من أن تحصى وهي تمتد إلى مفهوم التوحيد على أهميته، وعظمة الإله الواحد .

إن نبي الله عيسى عليه السلام بشر مخلوق، وهو عبدالله ورسوله وليس ابناً لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً . ولكن بعض رؤوس الضلال يحاولون تزييف الحقائق لإبعاد الناس عن منهج الحق وجادة الصواب، ويبذلون ما في وسعهم من طاقات للكيد لهذا الإسلام العظيم عن طريق الدس والافتراء وتغيير الحقائق وتشويه النصوص وتحميلها مالا تحمل من معان ومدلولات .

وكان لابد من الرد على هؤلاء بموضوعية عميقة وأسلوب علمي متماسك وقد كانت مناظرات الشيخ أحمد ديدات على هذا النمط الواعي العميق، وكان لمناظرته مع القس (سويقارت) صدى عظيمٌ ونصرٌ كبيرٌ للحق وأهله برغم

محاولة هذا القس استثارة العواطف والكذب والتدليس مما قد ينطلي على الجهلة من أتباعه، وغيرهم.

وقد كان رد الشيخ ديدات كافياً - حسب ما يسمح به وقت المناظرة - فبقيت بعض الأمور التي تحتاج إلى إيضاح وبيان، وهذا ما حدا بالندوة العالمية للشباب الإسلامي أن تندب لهذه المهمة الأخ الداعية الدكتور حسن باجودة - جزاه الله خيراً - فعمل - مشكوراً - على تنفيذ أهم الأمور التي يقتضي المقام الوقوف عندها وإلقاء الضوء عليها. وقام بالمهمة خير قيام ووفى الموضوع حقه مستشهداً بالحجج المنافسة، وحشد كثيراً من الأدلة والمناظرات المقنعة والكاشفة للحق لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ورغبة من الندوة في الاختصار ليكون هذا العمل المبارك في متناول الجميع فقد طلبت من الأستاذ الكريم الاختصار غير المخل، فكانت النتيجة هذه الثمار اليانعة التي نضعها بين يديك - أخي القارىء الكريم - في الصفحات التالية.

وأتقدم بالشكر الجزيل للأخ الدكتور حسن باجودة على تأليفه لهذا الكتاب سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن ينفع بجهده ويجزيه عن أمة الإسلام خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون مفيداً في الدفاع عن الإسلام وتوضيح تعاليمه السمحة، وتبيان موقفه الذي لا يتطرق إليه الوهن ولا يضره كيد الحاقدين ولا تشويه المبطلين.

والحمد لله رب العالمين . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

الأمين العام
للندوة العالمية للشباب الإسلامي
د. مانع بن حماد الجهني

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد تلقيت رسالة كريمة مؤرخة في ١/ ٨/ ١٤١٢هـ من الأخ الكريم الدكتور إبراهيم بن حمد القعيد، الأمين العام المساعد للندوة العالمية للشباب الإسلامي جاء فيها «وبناءً على المفاهمة التي تمت بيننا في الكويت بشأن الاطلاع على مناظرة الشيخ ديدات مع القس سويقارت والرغبة في رصد الشبهات التي أثيرت والرد عليها.

يسعدني أن أرفق لكم الشريط المتضمن لنص المناظرة كي تتولوا تفنيد ما أثير من تهم واباطيل، وتتكرموا بالرد عليها من فيض علمكم الغزير. . شاكراً لكم كريم تعاونكم وصادق جهودكم. والله يتولى مثوبتكم ويجزيكم خيراً. إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو الهادي إلى سواء السبيل».

وحينما تابعت المناظرة بين الداعية المسلم الشيخ أحمد ديدات والقس جيمي سويقارت، وكانت باللغة الإنجليزية، شد انتباهي بقوة في كلام القس سويقارت أمران متناقضان، أولهما اعترافه بأن معلوماته عن الإسلام سطحية أمكن له الحصول عليها أخيراً، وآخرهما ذلك الحشد من التهم التي كالها ضد القرآن، والتي فيها تحريف للنصوص، وكذب متعمد في الاقتباس كما سيتبين فيما بعد. وإن كل ذلك يعني أن القس سويقارت ليس سوى اللسان الناطق لتلك الجهات، الخفية أو الظاهرة، التي تكيد للقرآن الكريم، ودين الإسلام ونبي الإسلام محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وسوف يتبين أن هذه

تهم قديمة، ولكنها تبدو في ثوب جديد. ولما كانت هذه التهم قد قتلها العلماء درساً وتفنيداً، فما أحرانا أن نتعاون من أجل نشر تلك الأعمال التي قام بها السلف الصالح خلال العصور، دحضاً للزيف، ودفعاً للحيف، وإزهاقاً للباطل، وإحقاقاً للحق. وليست جهودنا المتواضعة سوى بعض اللبنات التي تضاف إلى تلك الصروح التي شيدها السلف الصالح في الذود عن بيضة الإسلام.

وفى الختام أشكر للندوة العالمية للشباب الإسلامي هذه الثقة التي أولتني إياها، والفرصة التي مكنتني منها، بأن أحاول جهد الطاقة رد الشبهات وإحقاق الحق. سائلاً الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله، إنه جل وعلا أكرم مسئول وأعظم مأمول.

﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا. ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به. واعف عنا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين﴾ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

صبيحة يوم الجمعة ١٤/ ١٢/ ١٤١٣هـ

الموافق ٤/ ٦/ ١٩٩٣م.

تمهيد

أشرنا في المقدمة إلى تحريف القس سويقارت للنصوص وكذبه المتعمد. ويتضح ذلك في تعمده تغيير النص الوارد في صحيح البخاري، أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وكذبه على عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، الخليفة الراشد الثالث، الذي تم في عهده جمع القرآن الكريم للمرة الأخيرة سنة خمس وعشرين هجرية. لقد شكل عثمان لجنة رباعية تتألف من ثلاثة قرشيين وأنصاري هو زيد بن ثابت رئيس اللجنة، لكتابة القرآن الكريم على حرف واحد. وجاء في صحيح البخاري في الحديث الذي يحمل رقم (٤٩٨٧) في **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري لابن حجر العسقلاني**: «وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا». لقد حرّف سويقارت هذا النص وكذب فقال: (وأمر «عثمان» زيد بن ثابت وثلاثة آخرين بنسخها وتصحيحها متى كان ذلك ضرورياً). وقد بينا معنى الحديث كاملاً في أثناء حديثنا عن جمع القرآن الكريم على عهد عثمان.

ومما له علاقة بإعادة صياغة الشبهة في ثوب جديد الزعم بأن محمداً ﷺ انتحل في القرآن الكريم الكثير من الخرافات والأساطير اليهودية! إن هذه الشبهة هي التي أشار إليها ودحضها قوله عز من قائل في سورة النحل: ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر. لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾[1] والمعنى أن رب العزة يعلم أن أعداء هذا الدين يقولون إن محمداً ﷺ

---

(١) سورة النحل، آية: ١٠٣.

إنما يعلّمه أساطير الأولين شخص نصراني حداد أعجمي! وترد الآية الكريمة فوراً على هذا الهراء وتقول: إن ذلك الذي يميلون إليه، وينحرفون عن قصد السبيل نحوه، ويزعمون أنه يملي عليه ﷺ القرآن الكريم، الذي نزل بلسان عربي مبين، لسانه أعجمي وهو لا يكاد يبين. فكيف يصح لحداد أعجمي نصراني أن يُعلّم المصطفى صلى الله عليه وسلم، أفصح من نطق بالضاد، هذا القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين!.

وإنما عدل سويقارت عن الزعم القديم بأن القرآن الكريم مأخوذ من التوراة والإنجيل لأن القوم قد ثبت لهم أن كلاً من التوراة والإنجيل يحتويان على مالا يصح شرعاً وعقلاً قبوله من تلك الأساطير. وقد اعتمدت هذه الدراسة في ثبوت اشتمال كل من التوراة والإنجيل على تلك الأساطير، وانفراد القرآن الكريم باشتماله على الحق وحده، على ما كتبه متخصصان في نقد النصوص من بني جلدة القوم أساساً وهما: الإمام المهتدي السموءل بن يحيى المغربي في كتابه: **إفحام اليهود**، والطبيب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه: **(القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)**. وهذا القسم من الدراسة وهو بعنوان: العلم والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ألحقنا به موجزاً للدراسة القيمة التي حصل بها عالمان غربيان على جائزة نوبل في مطلع النصف الآخر من القرن العشرين، وهذه الدراسة معمقة لقول الحق جل وعلا في الآيتين الكريمتين الخامسة والأربعين والسادسة والأربعين من سورة النجم: **﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى﴾**.

ولما كان سويقارت قد استهل مناظرته بما يشبه الدعابة ظاهراً ولكنه يريد في الحقيقة أن يعيب على الإسلام سماحه للمسلم أن يتزوج حتى أربع نسوة فإنا تحت عنوان: (الحكمة من تعدد الزوجات)، حاولنا أن نبين هذه الحكمة، ودرسنا آيتين كريمتين من سورة النساء، وهما الآية الثالثة، والآية التاسعة

والعشرون بعد المائة، وتسمح أولاهما للزوج بأن يتزوج حتى أربع نسوة شريطة العدل بين الزوجات، فإن خاف الأزواج ألا يعدلوا فعليهم الاكتفاء بزوجة واحدة. وتقرر أخراهما أن الأزواج لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء ولو حرصوا. وتحولنا إلى تجربة من الواقع حينما عجزت زوجة عن تلبية حاجة زوجها فتزوج أخرى فكانت الأسرة بجناحيها غاية في السعادة والفضيلة. وقد انعكس الحل الإسلامي الأمثل لهذه المسألة على المجتمع بهجة وعفافاً. إن العلاج الإسلامي الذي ترفضه المدنية الغربية اليوم كفيل بإذن الله تعالى بانتشال تلك الحضارة المادية من الكثير من عثراتها، وكفيل بانتشال القس سويقارت ذاته من التورط بعد المناظرة في جريمة الزنى مع بعض الغانيات مما جعله بسبب تلك الزلة حديث الإعلام في الدنيا كلها وليس في الولايات المتحدة وحدها. لقد كان دورنا بشأن هذه الفضيحة التي تؤكد إفلاس المدنية الغربية في مجال الأخلاق مقصوراً على الاقتباس من المصادر الموثوقة.

وكي يدفع سويقارت النص القرآني الصريح على تحريف كل من التوراة والإنجيل يعلن بأن التوراة والإنجيل اليوم هما كما كانا على عهد محمد ﷺ وتناسى سويقارت أن التوراة والإنجيل آنذاك كان قد تم تحريفهما فعلاً، فالنص محرف قبل بعثة المصطفى ﷺ كما هو محرف بعدها. وقد أكد هذا التحريف وأثبته الداعية المسلم الشيخ أحمد ديدات في المناظرة، كما أكده وأثبته علماء نقد النصوص كما سيتبين.

وكي يدفع سويقارت التناقض الواضح في كل من التوراة والإنجيل يزعم أن التناقض موجود كذلك في القرآن الكريم، ففي موضع من القرآن الكريم يوصف طول اليوم بأنه كألف سنة وفي موضع آخر يوصف طول اليوم بأنه كخمسين ألف سنة، وينسى سويقارت أو يتناسى أن الموضوعين مختلفان، فأحدهما يتحدث عن ألف سنة من سني هذه الحياة الدنيا، وآخرهما يتحدث

عن يوم القيامة في حق الكافر. وقد وضحت الدراسة هذه المسألة.

ولما كانت الشبهات التي أثارها القس سويقارت في حق القرآن الكريم كثيرة وخطيرة وتتعارض مع حفظ الله تعالى القرآن الكريم فقد جعلنا الآية الكريمة التاسعة من سورة الحجر، قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ عنواناً لأكبر موضوعات هذه الدراسة، من أجل رد تلك الشبهات من ناحية، ومن أجل أن تعم الفائدة من ناحية أخرى.

وقد سارت الدراسة وفق هذه الخطوات:

١ - الحكمة من تعدد الزوجات.

٢ - ﴿لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

٣ - العلم والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل.

٤ - ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

(١) الحكمة من تعدد الزوجات

أشار القس سويقارت في بداية مناظرته إلى سماح الإسلام بتعدد الزوجات حتى أربع، وقارن بين الإسلام الذي يسمح بهذا التعدد وبين المسيحية التي لا تسمح إلا بزوجة واحدة، وعقّب على ذلك بقوله: ولهذا هو يحسن إصابة الهدف من أول قذيفة، يريد بذلك أنه وهو المسيحي الذي يكتفي بزوجة واحدة يحسن اختيار هذه الواحدة لعلمه أنها الأولى والأخيرة، والمعروف أنه تأكد للمسئولين عن الكنيسة التي ينتمي إليها سويقارت أن له علاقات آثمة خارج نطاق الزوجية، ونرجيء الحديث في هذه العلاقات الآثمة إلى ما بعد الحديث في الحكمة من تعدد الزوجات في الإسلام. وبشأن هذه الحكمة نود أن نتحدث في أمرين اثنين:

أحدهما : تقديم الإسلام الحق والخير على الجمال .

وآخرهما : الزواج بأكثر من واحدة مباح وليس ملزماً، وهو مباح بضوابط عديدة .

وإن كلاً من الأمرين بحاجة إلى شيء من بسط القول .

بشأن الحق والخير والجمال، من البديهي أن يقدم دين الإسلام، بل كل دين سماوي، الحق والخير على الجمال. وفي مجال العلاقة بين الرجل والمرأة وضع دين الإسلام الكثير من الضوابط التي حينما يتمسك الإنسان بها تجعل هذه العلاقة تتسم بالعفة والطهر. إن الإسلام أباح من ناحية للرجل أن يتزوج حتى أربع نسوة، ووضع من ناحية أخرى العقوبة الصارمة في حق من يتعدى حدود الله تعالى. فحد الزاني والزانية غير المحصنين - أي غير المتزوجين - مائة جلدة، وحد الزاني والزانية المحصنين - أي المتزوجين - الرجم بالحجارة حتى

الموت. إن علينا حينما نفكر في سماح الإسلام للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة أن نفكر في الوقت ذاته في حد الزنى في الإسلام. وما أكثر الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الزواج والطهر والعفاف.

وإن من أكثر الآيات الكريمات إرشاداً للرجال والنساء في هذا الشأن هذه الآيات الكريمات من سورة النور[1] قال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم. إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء. ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن. وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون. وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم. إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله، والله واسع عليم. وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله، والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً. وآتوهم من مال الله الذي آتاكم، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا. ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم**﴾.

إن الآيات الكريمات تأمر الرجال المؤمنين بأن يغضوا من أبصارهم وبأن يحفظوا فروجهم، وتأمر النساء المؤمنات بالشيء ذاته، كما تنهاهن عن إبداء زينتهن - باستثناء الزينة الظاهرة - إلا لفئات معينة. والمراد بالزينة الظاهرة التي يباح للمرأة إبداؤها الوجه والكفان وفق رأي فريق من العلماء. روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دخلت على

---

(١) سورة النور، الآيات ٣١-٣٣.

رسـول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال لها: «إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه»[١]، ووفق رأي فريق آخر من العلماء المراد بالزينة الظاهرة الثياب. قال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب[٢] وشرط الزينة الظاهرة عدم فتنة الرجال[٣] أما الزينة الباطنة أو الخاصة فإنها لا تُبدى إلا للفئات التي عينتها الآية الكريمة ومنهم التابعون غير ذوي الرغبة في النساء بسبب عجز هذا الفريق من الرجال. والجماعة المؤمنة مأمورة بأن تزوج من لا زوج له من الجنسين، وبشأن الفقراء يوعدون بأن الله تعالى سوف يغنيهم من فضله. أما الذين لا يجدون أزواجاً من الجنسين فإن عليهم أن يستعففوا حتى يغنيهم الله تعالى من فضله. وينبغي على الجماعة المؤمنة أن تتعاون على البر والتقوى بأن تمنع كل المثيرات للغرائز، المثيرات للشهوات، وفي مقدمتها تبرج الجاهلية الأولى بمعنى أن تتزين المرأة كي تبدو جميلة في أعين غير المحارم. وقد نهت الآية الكريمة الثالثة والثلاثون من سورة الأحزاب عن التبرج.

ولم يغفل الإسلام الجمال ولم ينكره بل اعترف به ووضعه بعد الحق والخير. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٤] والمعنى: لا أصاب خيراً وصار في التراب وخسر[٥].

---

(١) تفسير القرطبي ٢١ . ٤٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٠ . ٤٦ .

(٣) انظر مثلاً القرطبي ٢١ . ٤٦ .

(٤) صحيح البخاري ٧ / ٩ .

(٥) انظر القاموس المحيط : «ترب» .

إن تعاليم الإسلام حينما تطبق يكون المجتمع عفيفاً وطاهراً ونظيفاً. وإن من مقومات هذا المجتمع العفيف الطاهر النظيف إقامة الحدود. قال تعالى: **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**(١).

وبشأن سماح الإسلام للرجل الزواج بأكثر من واحدة وضوابطه نود أن نتحدث في ثلاثة أمور:

(أ) معنى الآيتين الكريمتين من سورة النساء اللتين لهما علاقة مباشرة بهذا السماح وما يمكن أن يستفاد منهما وهما الآيتان رقم ٣ و١٢٩.

(ب) العلاج الذي قدمه الإسلام لحالة عجز زوجة عن تلبية حقوق الزوج الشرعية من اتصال وإنجاب وما إليهما وعجز الحضارة المادية الحالية عن إيجاد الحل.

(جـ) الثمرة النكدة لانسياق القس سويقارت وراء تبرج الجاهلية المعاصرة وفجورها وانغماسها في الرذيلة وتنكرها للفضيلة.

(أ) آيتا سورة النساء:

الآيتان الكريمتان من سورة النساء اللتان لهما علاقة مباشرة بهذا السماح هما الآية الثالثة والآية التاسعة والعشرون بعد المائة.

وهذه هي الآية الكريمة الثالثة. قال تعالى: **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾**. بعد أن تحدثت الآية الكريمة الثانية السابقة من سورة النساء عن أموال اليتامى ذكوراً وإناثاً، وأمرت الأولياء بأن يعطوا اليتامى أموالهم، ونهتهم عن أكلها ظلماً وعدواناً، تحدثت هذه الآية

(١) سورة النور، آية: ٢.

الكريمة الثالثة عن اليتيمات اللاتي يخاف الأولياء أن يظلموهن بعدم إعطائهن مهر المثل حينما يرغبون في الزواج بهن رغبة في جمالهن. إن الآية الكريمة تقول للأولياء: (إن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي ترغبون في نكاحهن فتجاوزوهن إن خفتم ألا تعطوهن مهر المثل، وتزوجوا ما حل لكم من النساء، ومالت إليهن نفوسكم حتى أربع نسوة. فإن خفتم ألا تعدلوا حال الزواج بأكثر من واحدة فتزوجوا واحدة واكتفوا بها أو تزوجوا ما ملكت أيمانكم من الإماء. إن الاكتفاء بزوجة واحدة أو الزواج بما ملكت الأيمان أدنى أن تعدلوا أيها الأولياء وأقرب ألا تجوروا وتظلموا. وهكذا تتحدث الآية الكريمة عن العدل وتحث عليه في ثلاثة مواضع. في حال الخوف من عدم العدل في اليتامى، وفي حال الخوف من عدم العدل في حال الزواج بأكثر من واحدة، وفي حال إرشاد التذييل في الآية الكريمة إلى أقرب الحالات إلى العدل وأبعدها عن الظلم.
وتحت عنوان: «حق المرأة في اشتراط عدم التزوج عليها» جاء في فقه السنة[1]:
«كما أن الإسلام قيّد التعدد بالقدرة على العدل وقصره على أربع، فقد جعل من حق المرأة أو وليها أن يشترط ألا يتزوج الرجل عليها، فلو شرطت الزوجة في عقد الزواج على زوجها ألا يتزوج عليها صح الشرط ولزم، وكان لها حق فسخ الزواج إذا لم يف لها بالشرط. ولا يسقط حقها في الفسخ إلا إذا أسقطته ورضيت بمخالفته».

وإن القول في الآية الكريمة: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ تبين معناه الآية الكريمة التاسعة والعشرون بعد المائة من سورة النساء.
قال تعالى: **﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾**.

(١) فقه السنة ـ السيد سابق ـ ٢ / ١٠٠.

إن الاية الكريمة تقول للمؤمنين بصريح اللفظ إنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء ولو حرصوا على تحقيق العدل بين الزوجات. إن المطلوب من الزوج أن يكون عادلاً مع زوجاته في القَسم وفي النفقة وفي المعاشرة بالمعروف وما إلى ذلك مما هو قادر على أن يكون عادلاً فيه، بخلاف الميل القلبي الذي لا سلطة للمرء عليه فإنه معفو عنه بإذن الله تعالى. ولهذا كان عليه السلام يقول: «اللهم إن هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[١]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»[٢]. إن الآية الكريمة تنهي الأزواج من أن يميلوا إلى إحدى الزوجات كل الميل متجاوزين الميل المعفو عنه وهو القلبي إلى الميل غير المعفو عنه فيذر الأزواج زوجاتهم ويتركوا الواحدة منهن كالمرأة المعلقة التي لا هي ذات زوج ولا أيِّم[٣].

وتأمر الآية الكريمة الأزواج بأن يصلحوا من ميلهم كل الميل، وأن يتقوا الله تعالى الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم حينما لم يعاجلهم بالعقوبة إنما أرشدهم إلى معالم دينهم.

«فإذا خاف الزوج الجور وعدم الوفاء بما عليه من تبعات حرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة، بل إذا خاف الجور بعجزه عن القيام بحق المرأة الواحدة حرم عليه أن يتزوج حتى تتحقق له القدرة على الزواج.

وهذا التعدد ليس واجباً ولا مندوباً، وإنما هو أمر أباحه الإسلام، لأن ثمة مقتضيات عمرانية وضرورات إصلاحية لا يجمل بمشترع إغفالها، ولا ينبغي له

---

(١) تفسير القرطبي ١٩٧٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٩٧٧.

(٣) انظر تفسير الطبري ٥ / ٢٠١.

التغاضي عنها»[1].

وتبدو حكمة الإباحة في :

(ب) العلاج الذي قدمه الإسلام لحالة عجز زوجة :

قريب لي مضرب المثل في الأسرة في الصلاح والتقوى والعدل. مرضت زوجته الوحيدة وأم أولاده وهما في ريعان الشباب، وعجزت عن تلبية احتياجاته زوجاً، وبذل قصارى جهده في سبيل علاجها، وهو يحبها حباً جماً، وهي كذلك، ولم يخطر ببال أي منهما الابتعاد عن الآخر أو الانفصال عنه، ولم يخطر ببال الزوج قبل مرض زوجه أن يتزوج أخرى. فما هو الحل الإسلامي لهذه المسألة؟ وفي المقابل: ما هو الحل في رأي فريق من الغربيين الذين عرضت عليهم شخصياً المسألة وعلاج الإسلام لها.

إن العلاج الإسلامي تمثل في زواج الرجل بأخرى، وقد طبق تعاليم الإسلام في العدل بين الزوجتين، وقد رزقه الله تعالى من الأخرى البنين والبنات كما رزقه من الأولى. وأعلم اليوم أن كل واحد وواحدة رب أسرة أو ربة أسرة قريرة العين هنية البال. إن سماح الإسلام بالزواج بأكثر من واحدة عالج المشكلة فأرضى الزوجة الأولى، ونظم عقد أبنائها وبناتها، وضمن حقوق كل فرد، وأرضى الزوجة الأخرى التي كانت على علم سابق بكل الملابسات، ونظم عقد أبنائها وبناتها، وهيمنت الفضيلة على جناحي الأسرة، ورفرفت السعادة على كل فرد من أفراد الجناحين، واللطيف في الأمر أن التعاون على شئون الحياة وثيق بين أبناء الزوجتين.

فما رأي الغربيين في هذه المسألة وفي حل الإسلام لها ؟

---

(١) **فقه السنة** ٢ / ٢٠١ .

مع إكبار الفريق من الغربيين لنجاح الإسلام في حله لهذه المسألة، وإعجابهم بقدرته على علاج المشكلة كعادته إزاء كل مشكلة، وذلك حينما حكّم هذا الفريق من الغربيين العقل والمنطق، فإن العاطفة ما لبثت أن تغلبت. إن العاطفة الغالبة عز عليها طلاق الزوجة الأولى ولم تستسغ فكرة الزواج بأخرى. وحينما أشرت إلى حق الزوج على زوجه، وعدم قدرة الزوجة على القيام بحق الزوج، بادر هذا الفريق إلى اقتراح لجوء الزوج إلى ارتكاب جريمة الزنى! إن هذا الفريق عطل العقل والمنطق وحكّم عاطفته ولم يجد حلاً سوى ارتكاب جريمة الزنى ورفض الزواج بأخرى ولو كان ذلك على حساب فساد الرجل الصالح الذي سيرتكب جريمة الزنى، وعلى حساب فساد المرأة التي سيزنى بها أو النسوة، وعلى حساب فساد الذرية من اللقطاء، وعلى حساب فساد المجتمع فالأمة. وقبل ذلك وبعده لا عبرة بتعاليم السماء في حق الزنى وبأحكامها ولو كان رجم المحصن!.

وليس الانسياق وراء العاطفة وتعطيل العقل سوى الثمرة النكدة لانغماس المدنية المعاصرة في حمأة الرذيلة وسخريتها من الفضيلة. ومن الذين تجرعوا غصص المدنية المادية الزائفة القس سويقارت ذاته، وهذا ما سنتبينه في السطور التالية تحت عنوان :

(جـ) الثمرة النكدة للمعصية :

بشأن الثمرة النكدة التي غص بها حلق القس سويقارت والماء الآسن الذي تجرعه بسبب انسياقه مع التيار الهابط للمدنية الغربية استجابة للشيطان الرجيم والنفس الأمارة بالسوء أكتفي باقتباس بعض السطور التي تبين ارتكاب القس سويقارت جريمة الزنى مع إحدى الغانيات والخليلات، وخيانته زوجته وحليلته وندمه بعد فوات الأوان. جاء في كتاب : (فضائح الكنائس والباباوات

والقسس والرهبان والراهبات)[1] ما يلي : (يقول السيد محسن محمد : وقف رجل الدين على المنبر صباح الأحد ليلقي عظته الدينية المعتادة، تردد في الحديث لأول مرة، فإن الكنيسة ازدحمت بثمانية آلاف من المصلين المستمعين من أتباع رجل الدين الشهير. جاءوا ليروا ماذا سيقول الرجل الذي نشرت الصحف صورة له وهو يدخل فندقاً منعزلاً مع غانية، ثم وهو يغادر الفندق في صحبة الغانية أيضاً . كان الصمت الرهيب يلف الجميع في انتظار الكلمة الأولى للرجل. وفي ظل هذا الموقف الغريب بدأ الرجل يتكلم. قال : لقد أخطأت في حقكم. ولم يستطع أن يتم حديثه بل أخذ يبكي ثم قال : ارتكبت فضيحة وعملاً مهيناً فيه إذلال لكم. أرجو المغفرة. ثم ضاع صوت الرجل وسط دموعه. سألت نفسي عشرات الآلاف من المرات عبر عشرة آلاف دمعة لماذا فعلت ذلك؟ وانطلق يبكي بينما أحنى المستمعون رءوسهم محاولين إخفاء أمطار الدموع. أما النساء فقد سالت مستحضرات التجميل على خدودهن أيضاً يبكين وكان مستحيلاً مشاهدة عين جافة في الكنيسة.

ولم يستطع الرجل أن يتم حديثه بل نزل درجات المنبر وهو يبكي بينما تساعده زوجته على السير ويكاد ابنه يحمله لأنه لا يقدر على المشي خطوة واحدة! وفي المساء كانت محطات التليفزيون على امتداد الولايات المتحدة كلها تعرض هذه اللقطة ضمن نشرة الأخبار. وتكرر عرض المشهد في الصباح التالي فإن قصة رجل الدين جيمي سويقارت ـ ٥٢ سنة ـ أصبحت الموضوع الأول في كل نشرات الأخبار يشاهدها الملايين ليروا رجل الدين وهو يبكي لأنه ارتكب الخطيئة الكبرى . . اعتزل سويقارت عمله دون أن يقدم استقالته. وفي اليوم التالي استقل سويقارت طائرته النفاثة الخاصة إلى عاصمة ولاية لويزيانا ليشهد اجتماع اللجنة التنفيذية للمجموعة الكنسية التي يتبعها ليدلي باعترافه

(١) فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات ٧٣ ـ ٧٥.

التفصيلي . . . وكان أمام اللجنة أن تطرده من عمله ولكنها اتخذت قراراً آخر . قررت اللجنة بعد اجتماع استمر عشر ساعات منعه من الوعظ ثلاثة شهور ، وأن يلتقي به ثلاثة من رجال الكنيسة كل أسبوع لنصحه ، وأن يقدموا عنه تقريراً شهرياً إلى اللجنة لمعرفة ما إذا كان قد انتصح أم لا . وبعد عامين تقرر اللجنة مصيره ، فإما أن يعود إلى عمله ، أو تمتد فترة النصح ، أو يطرد إذا لم يستقبل القرار استقبالاً حسناً . وقيل إن اللجنة ترفقت بسويقارت»[١] .

(١) انظر الصفحات : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٦-٨٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) ﴿لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾

في سبيل تبرير التناقض الصارخ في كل من التوراة والإنجيل تحول القس سويقارت إلى القرآن الكريم فزعم أن الشيء ذاته يوجد في القرآن الكريم وأشار إلى لفظ يوم، الذي يُشار في الآية الكريمة الخامسة من سورة السجدة إلى أن طوله ألف سنة. يريد قوله تعالى: **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾** والذي يشار في الآية الكريمة الرابعة من سورة المعارج إلى أن طوله خمسون ألف سنة. يريد قوله تعالى: **﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**.

والرد على هذه الشبهة من ناحيتين:

الناحية الأولى أن موضوع آية سورة السجدة غير موضوع آية سورة المعارج. إذ إن آية سورة السجدة تتحدث عن اليوم ـ الذي مقداره ألف سنة ـ والذي تسير فيه الملائكة بين السماء والأرض ذهاباً وإياباً، وإنّ آية سورة المعارج تتحدث عن يوم القيامة الذي يرى الكافرون مقداره خمسين ألف سنة لشدة أهواله عليهم.

والناحية الأخرى هي أن القرآن الكريم إنما نزل بلسان عربي مبين ووفق طرائق العرب في كلامها. وقد جرت عادة العرب أن تعبر بلفظ اليوم عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها، وعن مدة من الزمان، أي مدة كانت[1] وإنّ كلاً

---

(١) انظر المفردات في **غريب القرآن** للراغب الأصفهاني: «يوم» ٥٥٣.

من الناحيتين بحاجة إلى شيء من بسط القول .

إنه بشأن اختلاف موضوع الآيتين الكريمتين في السورتين الكريمتين إليك ما جاء في تفسير من أيسر التفاسير وأشهرها، إنه تفسير الجلالين. جاء بشأن آية سورة السجدة القول «﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ مدة الدنيا ﴿ثم يعرج﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ في الدنيا. وفي سورة سأل[1] ﴿خمسين ألف سنة﴾ وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث». وجاء بشأن آية سورة المعارج في الجلالين القول: «﴿تعرج﴾ بالتاء والياء ﴿الملائكة والروح﴾ جبريل ﴿إليه﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿في يوم﴾ متعلق بمحذوف، أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث». وقال مجاهد وقتادة والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام. ولكنه يقطعها في طرفة عين، ولهذا قال تعالى: **﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾**[2] ويقول الطبري[3]: «معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم. خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود».

وبشأن آية سورة المعارج جاء في تفسير الطبري[4]: «عن ابن عباس في

---

(١) المراد سورة المعارج .

(٢) **تفسير ابن كثير** ٣/٤٥٧ .

(٣) **تفسير الطبري** ٢١/٥٩.

(٤) **تفسير الطبري** ٢٩/٤٥ وانظر الحديث وبقية الأحاديث في **تفسير ابن كثير** ٤/٤١٩ .

قوله: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فهذا يوم القيامة. جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة... عن سعيد أنه قال لرسول الله ﷺ: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا».

في ضوء ما تبين يكون معنى آية سورة السجدة: إن الله سبحانه وتعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد. وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمسمائة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك. فذلك ألف سنة[١] قال تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾.

كما يكون معنى آية سورة المعارج: إن الملائكة وجبريل عليه السلام تصعد إليه جل وعلا[٢] وتعرج إليه سبحانه وتعالى، في يوم هو يوم القيامة الذي جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة. «عن ابن عباس: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. قال: يوم القيامة وإسناده صحيح»[٣] وكذا قال عكرمة والضحاك وابن زيد[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جُعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢١ / ٥٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٩ / ٤٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٤١٩.

(٤) تفسير الطبري ٢٩ / ٤٥ وتفسير ابن كثير ٤ / ٤١٩.

مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون. ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار[١].

وإن الآيات الكريمات من سورة المعارج بين يدي الآية الكريمة موضع الدراسة ومن خلفها تتحدث عن يوم القيامة. قال تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب[٢] واقع للكافرين[٣] ليس له دافع. من الله ذي المعارج[٤] تعرج الملائكة والروح[٥] إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فاصبر صبراً جميلاً. إنهم يرونه بعيداً. ونراه قريباً. يوم تكون السماء كالمهل[٦] وتكون الجبال كالعهن[٧] ولا يسأل حميم حميماً[٨]﴾.

مما سبق يتبين أن اليوم الذي تتحدث عنه آية سورة السجدة ليس هو اليوم الذي تتحدث عنه آية سورة المعارج.

ووراء ذلك فإن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ووفق طرائق العرب في تعبيرها. وبشأن لفظ اليوم جرت عادة العرب أن يعبروا به عن معناه الأصلي، وهو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وعن أي مدة زمانية وراء ذلك. وهذا هو ميدان الرد من ناحيته الثانية.

إنّا حينما نستشير معجم لسان العرب نتبين المعنى الأصلي لليوم كما نتبين

---

(١) **تفسير ابن كثير** ٤ / ٤٢٠.

(٢) بعذاب واقع: عن عذاب الله وهو واقع. **طبري**.

(٣) واقع على الكافرين. **طبري**.

(٤) ابن عباس: ذي الدرجات. **طبري** عكرمة: معارج السماء، **طبري** ومصاعد الملائكة **الجلالين**.

(٥) الروح: جبريل عليه السلام **طبري**.

(٦) كالمهل: كذائب الفضة. **الجلالين**.

(٧) كالعهن: كالصوف في الخفة والطيران بالريح. **الجلالين**.

(٨) الحميم: القريب المشفق، **مفردات الراغب الأصفهاني**.

أن لليوم معاني أخرى، فهو بمعنى الدهر، وبمعنى الوقت الحاضر، وبمعنى مطلق الوقت، وبمعنى يوم القيامة. وإليك هذه الاقتباسات في تلك المعاني.

يقول ابن منظور[1]: «اليوم: معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، والجمع أيام، لا يكسّر إلا على ذلك. وقال شمر في قولهم:

يوماه: يوم ندى ويوم طعان».

ويوماه: يوم نُعْم ويوم بؤس. فاليوم ههنا بمعنى الدهر، أي: هو دهره كذلك... وقالوا: أنا اليوم أفعل كذا، لا يريدون يوماً بعينه ولكنهم يريدون الوقت الحاضر، حكاه سيبويه. ومنه قوله عز وجل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾... وفي حديث عمر رضي الله عنه: السائبة والصدقة ليومهما، أي ليوم القيامة، يعني يراد بهما ثواب ذلك اليوم... وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً، ومنه الحديث: تلك أيام الهرج، أي وقته، ولا يختص بالنهار دون الليل» والهرج بمعنى الفتنة والاختلاط والقتل.

وهكذا يتبين أن موضوعي الآيتين الكريمتين مختلفان، كما يتبين أن لفظ اليوم يستعمله العرب دليلاً على فترة زمنية معيّنة من طلوع الشمس إلى غروبها، وعلى الليل والنهار خلال أربع وعشرين ساعة، كما يستعملونه دليلاً على أي مدة زمنية مهما تطل وتزد على النهار، ومهما تقصر وتنقص عن النهار، والمعروف أن القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، سار وفق طرائق العرب في تعبيرها، فهو لم يلو للغة العربية عنقاً ولم يقسرها على أن تسير في غير الطريق الذي سارت فيه وارتضته .

---

(١) **لسان العرب** «يوم» .

(٣) العلم والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل

في محاولة القس سويقارت إثبات عدم تحريف كل من التوراة والإنجيل أكد أن كلا من التوراة التي بيد اليهود اليوم والإنجيل الذي بيد المسيحيين اليوم هما كماكانا على عهد محمد ﷺ لم يطرأ عليهما أي تغيير، وتناسى سويقارت أن كلاً من التوراة والإنجيل على عهد محمد ﷺ كانا قد تم تحريفهما من ذي قبل. لقد أكد القرآن الكريم في العديد من المواضع هذا التحريف كما أكده علماء متخصصون في نقد النصوص. وفي الأسطر القليلة التالية سوف نقوم بتدوين اقتباسات في هذا التحريف من كتابين اثنين لمتخصصين في هذا الفن.

الكتاب الأول يتحدث عن التوراة وعنوانه **إفحام اليهود** للإمام المهتدي السموءل بن يحيى المغربي المتوفى سنة ٥٧٠هـ الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبوان. وهو مكتوب باللغة العربية أساساً.

والكتاب الآخر يتحدث عن التوراة والإنجيل والقرآن وعنوانه: **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**. ومؤلفه موريس بوكاي، طبيب فرنسي معاصر. وهو مكتوب باللغة الفرنسية أساساً وترجم إلى عدد من اللغات.

وإليك أولاً هذه الاقتباسات من كتاب: «**إفحام اليهود**» بعد أن ذكر الإمام المهتدي السّموءل بن يحيى المغربي فصلاً في ذكر طرف من كفر اليهود وتبديلهم[١] يعلق قائلاً[٢]: «ولسنا نرى أن هذه الكفريات كانت في التوراة

(١) **إفحام اليهود** ١٢٤ وما بعدها.

(٢) **إفحام اليهود** ١٣٥.

المنزلة على موسى صلوات الله عليه» وتحت عنوان: «ذكر السبب في تبديل التوراة» يقول: السموءل[1]: «علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزّلة على موسى البتة. لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم. وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوى، ودليل ذلك قول التوراة... وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بني ليوى... ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: هاأزينو. فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بني إسرائيل... فهذه السورة لما قال الله تعالى عنها إنها: لا تنسى من أفواه أولادهم، دل ذلك على أن الله تعالى علم أن غيرها من السور تنسى.

وأيضاً فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة. فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم.

وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بختنصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس.

ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة.

فلما رأى عزرا[2] أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق

---

(١) **إفحام اليهود** ١٣٥ وما بعدها.

(٢) كان عزرا خادماً لملك الفرس وكان حظياً عنده. فتوصل إلى بناء بيت المقدس، بعد أن خربه بختنصر، وكتب لليهود التوراة التي بأيديهم، ولذا فقد كان يسمى بالكاتب أو الناسخ. وهو غير عزير المعروف **إفحام اليهود** . المخطوط. نقلاً عن هامش رقم ١ ص١٣٩. من المطبوع. وجاء في هامش رقم ١ ص١٤٠ نقلاً عن كتاب الإمام أبي المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والإنجيل من التبديل. «وهذه

جمعهم، ورُفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن.

ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة، وزعموا أن النور - إلى الآن - يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم. فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة، كتاب عزرا وليس كتاب الله» وقد أشار السموءل إلى جراءة اليهود لعنهم الله على أنبياء الله تعالى وكذبهم عليهم، كلوط عليه السلام، وداود عليه السلام. ففي زعمهم لعنهم الله تعالى أن داود عليه السلام من نسل مؤاب ولد لوط عليه السلام من إحدى ابنتيه! : ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**﴾[1] يقول عن ذلك التلفيق الذي أضيف إلى التوراة[2]: «ثم أكثر العجب منهم أنهم جعلوا داود النبي عليه السلام ممزير (ممزير اسم لولد الزنا! **إفحام اليهود** ١٤٦). . وذلك أنهم لا يشكون في أن داود بن بشاي بن عابد، وأبو هذا: عابد يقال له: بوعز من سبط يهوذا. وأمه يقال لها: روث المؤابية من بني مؤاب. ومؤاب هذا منسوب عندهم في نص التوراة في هذه القصة، وهي أنه لما أهلك الله تعالى أمة لوط لفسادها ونجا بابنتيه فقط، خالتا ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن تستبقيان منه نسلاً. فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا لشيخ. وإنسان لم يبق في الأرض ليأتينا كسبيل البشر، فهلمي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه لنستبقي من أبينا نسلاً!!

ففعلتا ذلك بزعمهم، لعنهم الله، وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر ولم يعرف ابنتيه، ثم وطئهما فأحبلهما وهو لا يعرفهما. فولدت إحداهما

= النسخة كتبها عزرا قبل بعثة المسيح عليه السلام بخمس مائة وخمس وأربعين سنة»

(١) سورة الكهف آية: ٥.

(٢) **إفحام اليهود** ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.

ولداً سمته مؤاب، تعني أنه من الأب. والثانية سمت ولدها بني عمى تعني أنه من قبيلتها.

وذلك الولدان عند اليهود ممزريم[1] ضرورة لأنهما من الأب وابنتيه . . . وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي في التوراة الموجودة بأيدي اليهود، فلن يقدروا على جحدها. فليزمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط ممزريم، إذ توليدهما على خلاف المشروع.

وإذا كان روث من ولد مؤاب، وهي جدة داود عليه السلام وجدة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوهما جميعاً من نسل الأصل الذي يطعنون فيه . . ».

ويبين الإمام المهتدي السموءل السبب في دس هذا النوع من الكذب والهراء في التوراة ويقرر[2]: «أن العداوة التي مازالت بين بني عمون ومؤاب، وبين بني إسرائيل، بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال ليكون أعظم الأخبار فحشاً في حقّ بني عمون ومؤاب.

وأيضاً فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين. فلما ولي طالوت وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم. وكان عزرا هذا خادماً لملك الفرس حظياً لديه فتوصل إلى بناء بيت المقدس وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم.

فلما كان هارونياً كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود! أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة ثامار . . » وهذه القصة في زنى المحارم أيضاً! وهي كما يقول السموءل

---

(١) ممزريم كلمة جمع واحدة ممزيروهم اسم لولد الزنى **إفحام اليهود** ١٤٦.

(٢) **إفحام اليهود** ١٥١.

أعجب من القصة السابقة[١] ونحن نكتفي بالقصة السابقة ونستغفر الله تعالى من اضطرارنا لذكر هذا الافتراء.

وإليك ثانياً هذه الاقتباسات من كتاب: **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، لمؤلفه الفرنسي موريس بوكاي. وهذه الاقتباسات في غنى عن التعليق.

ليس هناك أي وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية، وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية في القرآن الكريم. وإنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية. وتلك هي النتيجة الأساسية التي تخرج بها دراستنا[٢] وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث[٣].

بنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين ـ فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا.

وأما بالنسبة للأناجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة، ونعني بها شجرة أنساب المسيح. وذلك أن نص إنجيل مَتَّى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض[٤].

---

(١) **إفحام اليهود** ١٥٣.

(٢) موريس بوكاي ١١.

(٣) موريس بوكاي ١٣.

(٤) موريس بوكاي ١٣ وانظر ٣٩.

يتكون العهد القديم من مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول وتختلف في النوع. كُتبت هذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة، واعتماداً على التراث المنقول شفوياً. وقد صُحِّحت وأُكْمِلَتْ أكثرية هذه الأسفار، بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحياناً[١].

يمتد تحرير أسفار موسى الخمسة، على ثلاثة قرون بأقل تقدير[٢].

يعطي كتاب أسفار موسى الخمسة، على مستوى نقد النصوص، أكثر الأمثلة وضوحاً على التعديلات التي قام بها بشر في فترات مختلفة من تاريخ الشعب اليهودي، كما يعطي أمثلة جليلة عن تعديلات التراث الشفهي والنصوص التي تلقتها الأجيال السابقة[٣].

فيما يخص سفر التكوين وحده فإن انقسام الكتاب إلى ثلاثة مصادر ثابت فعلاً[٤].

كُتُبُ العهد القديم لم تتخذ هيئتها الأولى إلا قبل قرون من ميلاد المسيح ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح كما يرى الكثيرون. وعلى ذلك يبدو العهد القديم صرحاً أدبياً للشعب اليهودي منذ أصوله وحتى العصر المسيحي[٥] إن الوحي يختلط بكل هذه الكتابات[٦].

---

(١) موريس بوكاي ٢٣.

(٢) موريس بوكاي ٢٩.

(٣) موريس بوكاي ٣٠.

(٤) موريس بوكاي ٣٠.

(٥) موريس بوكاي ٢٥.

(٦) موريس بوكاي ٢٥.

من زاوية المنطق يمكن أن نتبين عدداً كبيراً من المتناقضات والأمور غير المعقولة في التوراة[١] إن التوراة تحتوي على أخطاء ذات طابع تاريخي[٢] وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف في القرآن أي خطأ[٣].

في سفر التكوين توجد أكثر المتناقضات وضوحاً مع العلم الحديث. وتخص هذه التناقضات ثلاث نقاط جوهرية:

١ ـ خلق العالم ومراحله.

٢ ـ تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.

٣ ـ رواية الطوفان[٤].

ليس في التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتان ولكنهما حررتا في عصور مختلفة[٥] وبين النصين توجد تناقضات صارخة[٦].

يقص القرآن الخروج (خروج بني إسرائيل) من مصر دون التحديدات الجغرافية التي تعطيها رواية التوراة، ودون التحديدات العددية الواردة في هذه الرواية والتي يصعب تصديقها. إذ لا نرى جيداً كيف استطاع ٦٠٠,٠٠٠ بأسرهم أن يمكثوا طويلاً في الصحراء على حسب قول التوراة[٧] فـ ٦٠٠,٠٠٠ رجل بأسرهم يكونون احتمالاً جماعة من أكثر من مليونين من السكان[٨].

---

(١) موريس بوكاي ٣٩.

(٢) موريس بوكاي ٣٩.

(٣) موريس بوكاي ١٤٥.

(٤) موريس بوكاي ٤٠.

(٥) موريس بوكاي ٢٤٤.

(٦) موريس بوكاي ٢٤٤.

(٧) موريس بوكاي ٢٥٣.

(٨) موريس بوكاي ٢٥٤.

بشأن العهد القديم، وبعد ثلاث سنوات من المناقشات، وبأغلبية ٢٣٤٤ صوتاً ضد ٦ أصوات جاء في الوثيقة الخاصة بالعهد القديم في المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني (١٩٦٢ـ١٩٦٥): «هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان. مع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهي».

فيما يخص العهد القديم فإن تعدد كُتَّاب نفس الرواية بالإضافة إلى تعدد المراجعات لبعض الكتب على عدة فترات قبل العصر المسيحي، هو من أسباب الخطأ والتناقض، وأما فيما يخص الأناجيل، فلا يستطيع أحد أن يجزم بأنها تحتوي دائماً على رواية أمينة لرسالة المسيح أوعلى رواية لأعماله تتفق بدقة تامة مع الواقع. إن عمليات التحرير المتوالية تبين كما رأينا افتقار هذه النصوص إلى الصحة، وزيادة على ذلك فليس كُتَّاب هذه النصوص شهود عيان[١].

إن خروج النصوص التي نملكها اليوم (من الأناجيل) إلى النور قد بدأ في عام ٧٠ ميلادية بعد تعديلات في المصادر[٢].

يجب انتظار عام ١٧٠م حتى تكتسب الأناجيل صفة الأدب المعترف به كنسياً[٣].

ربما كان ما حُذف مائة إنجيل! لقد احتُفظ فقط بأربعة من الأناجيل لتدخل في قائمة رسمية من كتابات العهد الجديد والتي تشكل ما يسمى بالكتب المعترف بها كنسياً[٤].

الأناجيل أدب مفكك تفتقر خطته إلى الاستمرار، وتبدو تناقضاته غير قابلة للحل[٥].

---

(١) موريس بوكاي ١٥١.
(٢) موريس بوكاي ٧٣.
(٣) موريس بوكاي ٩٨.
(٤) موريس بوكاي ٩٩.
(٥) موريس بوكاي ٩٣

أنصدق مَتَّى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا؟[١].

لوقا أكثر كُتاب الأناجيل الأربعة إرهافاً في الحس وأكثرهم ميلاً للأدب. إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي[٢].

خاتمة إنجيل مرقس مؤلف مضاف. وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح[٣] وتم توليف خاتمة محترمة لمرقس وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين[٤] ويقول موريس بوكاي عن مرقس[٥]: «هذا الكاتب الغثّ».

يقول موريس بوكاي عن إنجيل يوحنا[٦]: «ولكن كل شيء يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى أكثر من كاتب واحد».

لقد استطاع المجمع المسكوني أن يعلن بشأن العهد القديم أن الأسفار التي تكوّنه تحتوي على شوائب وشيء من البطلان. ولكنه لم يَصُغ أي تحفظات مثل هذه بالنسبة للأناجيل[٧].

لا يمكن التوفيق بين تصريح الفاتيكان الثاني الذي يقول: إننا نجد في الأناجيل نقلاً أميناً لأفعال وأقوال المسيح وبين وجود متناقضات في هذه النصوص وأمور غير معقولة واستحالات مادية ودعاوي معاكسة لأمور تم التحقق من صحتها[٨].

---

(١) موريس بوكاي ٩٣

(٢) موريس بوكاي ٨٩.

(٣) موريس بوكاي ٨٦.

(٤) موريس بوكاي ٨٧.

(٥) موريس بوكاي ٨٧.

(٦) موريس بوكاي ٩١.

(٧) موريس بوكاي ٧٨ في الأصل: «وشيئاً».

(٨) موريس بوكاي ٧٩.

لاشك أن نسب المسيح في الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بلهوانيات جدلية متميزة صارخة تكافيء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى[١].

يعطي كل من متى ولوقا المسيح أنساباً مختلفة. والتناقض بينهما هام وعدم المعقولية كبيرة من وجهة النظر العلمية[٢].

إن المبشرين يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية[٣].

يتحاشى الأساتذة الكتب المقدسة المسيحية كيلا يحرج الطلاب الأساتذة بأسئلتهم[٤].

الأناجيل لم تكتب بأقلام شهود معاينين للأمور التي أخبروا بها، إنها ببساطة تعبير المتحدثين باسم الطوائف اليهودية المسيحية المختلفة عما احتفظت به هذه الطوائف من معلومات عن حياة المسيح العامة، وذلك في شكل أقوال متوارثة شفهية أو مكتوبة اختفت اليوم بعد أن احتلت دوراً وسطاً بين التراث الشفهي والنصوص النهائية[٥].

من الثابت فعلاً أن فترة تنزيل القرآن، أي تلك التي تمتد على عشرين عاماً تقريباً قبل وبعد عام الهجرة ٦٢٢م كانت المعارف العلمية في مرحلة ركود منذ عدة قرون[٦].

---

(١) موريس بوكاي ١١٦ وانظر ١٤ و٢٨٥.

(٢) موريس بوكاي ٨٨ وانظر ١٠٢.

(٣) موريس بوكاي ٨٨ وانظر ٩٥.

(٤) انظر موريس بوكاي ٦٥.

(٥) موريس بوكاي ٢٨٤.

(٦) موريس بوكاي ١٤٥.

لا يوجد على أي حال أقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون. ذلك أمر يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذي نملك اليوم قد أعطى عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية[١] وكما اتفق العلم مع القرآن واختلف مع التوراة بشأن مسألة الخلق اتفق مع القرآن واختلف مع التوراة بشأن مسألة الطوفان[٢].

اتفاق الآيات القرآنية التام مع معطيات علم الأجنة الحديث بشأن مختلف مراحل تطور الجنين البشري[٣] علماً بأن المعلومات التي يعطيها القرآن عن نمو الجنين لم تكتشف إلا خلال القرن التاسع عشر[٤].

ثمة تشابه بين ما جاء في التوراة والإنجيل عن بعض الموضوعات وخاصة المتعلقة بالتاريخ الديني، ولم يقل أحد إن عيسى أخذ من التوراة. وفي المقابل: «ليس هناك مطلقاً من يتضايق في بلادنا الغربية من معاتبة محمد ﷺ لأنه ذكرها في رسالته»[٥]، و «يزعمون أنه لم يفعل أكثر من أن نقل التوراة والإنجيل»[٦] علماً بأن كل إنجيل متى «يعتمد على تلك الاستمرارية مع العهد القديم. أيُّ مفسِّر هذا الذي تَعنُّ له فكرة أن ينزع عن المسيح صفته كرسول الله لذلك السبب؟»[٧].

---

(١) موريس بوكاي ١٧٢.

(٢) موريس بوكاي ١٤٩.

(٣) انظر موريس بوكاي ١٤٨.

(٤) انظر موريس بوكاي ٢٣٣.

(٥) موريس بوكاي ١٧٣ وانظر ١٤٩.

(٦) موريس بوكاي ١٤٩.

(٧) موريس بوكاي ١٤٩.

إنجيلا متى ولوقا يعطياننا نسبين مختلفين للمسيح من جهة الذكور، وغير مقبولين بالمرة من وجهة نظر المعارف الحديثة، ولا يجد قاريء القرآن بشأن أسلاف المسيح أي مأخذ. وإن المؤلف في نعيه على الذين يزعمون أن محمداً ﷺ قد نقل كثيراً من التوراة ليتساءل: «من الذي دفعه (ﷺ) أو ما الحجة التي أقنعته بالعدول عن نقل التوراة فيما يتعلق بأسلاف المسيح وبإدخال تصحيح في القرآن يضع نصه بعيداً عن أي مرمى نقدي تثيره المعارف الحديثة على حين أن نصوص الأناجيل والعهد القديم غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه؟»[١].

حينما أشار القرآن إلى إنجاء فرعون بجسده[٢] كانت جثث كل الفراعنة مدفونة بمقابر وادي الملوك بطِيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية، ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وأياً كان هذا الفرعون فهو الآن في قاعة المومياء الملكية في المتحف المصري بالقاهرة ويستطيع الزوار أن يروه[٣].

وإليك أخيراً هذا الموجز لدراسة ذات علاقة وثيقة بقول الحق جل وعلا في سورة النجم: ﴿**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى**﴾[٤] وقد حاز بها صاحباها الأستاذان كريك وواطسون، وأحدهما بيولوجي وآخرهما فيزيائي على جائزة نوبل في بداية النصف الثاني من القرن العشرين وباعتراف المتخصصين هما يستحقان على اكتشافهما أكبر من هذه الجائزة. وقد قام الأستاذ الدكتور عبد المحسن صالح باستعراض ذلك الاكتشاف في دراسة عنوانها: «من نطفه خلقه فقدره» نشرها في الصفحات ٤٨ ـ ٦٢ من العدد

(١) موريس بوكاي ٢٤٢.

(٢) سورة يونس، آية: ٩٢.

(٣) انظر موريس بوكاي ٢٦٩.

(٤) سورة النجم، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

الثالث عشر من السنة الرابعة لمجلة الضياء التي تصدر في دولة الإمارات العربية المتحدة. ولأهمية هذا الاكتشاف حمل العدد عنوان تلك الدراسة. ومع أن العالمين درسا النطفة والبويضة من الوجهة العلمية الخالصة فإن النتيجة الباهرة التي انتهيا إليها تأكيد لمعنى الآيتين المذكورتين من سورة النجم ولمعنى كل ما جاء في القرآن الكريم بشأن خلق الإنسان. لقد درس العالمان الحيوان المنوي لدى الذكر والبويضة لدى الأنثى وانتهيا إلى وجود مركبات أربعة أو رموز أربعة أو حروف أربعة لمركبات أربعة لأي كائن حي بداية من الفيروس والميكروب، ونهاية بالقرد والحصان والإنسان. وقد تبين أن الرأس وحده لكل حيوان منوي يحتوي في داخله على حوالي أربعة آلاف مليون شفرة أو حرف من الحروف الأربعة التي يرمز كل حرف منها لمركب كيميائي من المركبات الكيميائية الأربعة كما تبين أن البويضة تحتوي أيضاً على أربعة الاف مليون شفرة. فإذا حدث الإخصاب أصبحت البويضة المخصبة تحتوي على ثمانية آلاف مليون شفرة.
وهذه المركبات الكيميائية الأربعة هي: أدينين، ثايمين، جوانين، سيتوزين. وقد أُخِذ الحرف الأول من كل مركب من باب الاختصار. والذي يجمع هذه المركبات مركبان آخران أحدهما سكر والآخر فوسفات. بمعنى أن كل مركب من المركبات الأربعة يرتبط بالمركبين الآخرين. وأول ما يجذب الفكر بشأن هذه المركبات أن (أ) يرتبط دائماً بـ(ث) وأن (ج) يرتبط دائماً بـ(س). وهذه الحروف أو المركبات حينما تتراص تكوّن شرائط مجدولة أو سلماً حلزونياً.
والحيوان المنوي للإنسان وكذلك البويضة يحتوي كل منهما على حوالي المتر من هذا الشريط أو السلم الحلزوني، وهو موزع على خرائط أو ملفات وراثية تعرف باسم الكروموسومات وعددها ٤٦ كروموسوماً ٢٣ من الحيوان المنوي و٢٣ من البويضة. والنواة بالنسبة للخلية كالمخ المفكر بالنسبة للإنسان. ولكليهما ذاكرة يحفظان فيها ويستخرجان منها سيلاً من المعلومات. وكأنما مخ الخلية بمثابة

خريطة سحرية توزعت فيها المادة الوراثية على هيئة كروموسومات. الكروموسومات من جينات أو مورثات. المورثات من أشرطة. الأشرطة من شفرات أربع. الشفرات من عناصر أربعة. وها هي ذي خلايا النطفة التي جاء فيها قول الحق جل وعلا[1]: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ تموج ببحر هائل من المعلومات لو أننا سجلناها على هيئة شفرة ـ تتكون من شرطة ونقطة ـ لملأت عدة مجموعات في حجم مجموعة دائرة المعارف البريطانية المؤلفة من ٢٤ مجلداً. وأجمل ما في فكرة الخلق هذه البساطة الظاهرية. فشفرات أربع لاغير تعطي كل هذا الطوفان الدافق من المخلوقات إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

---

(١) سورة عبس، آية: ١٩.

(٤) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

إليك أولاً الشبه التي آثارها القس سويقارت في مناظرته :

«إني متأكد أن المسلمين هنا جميعاً على علم بأنه بعد وفاة محمد كان يوجد عدد لا بأس به من نسخ القرآن المتداولة التي لم تستقر بعد، وصدرت تعليمات من علماء الدين الإسلامي بخصوصها، بأنه كان على الخليفة عثمان أن يوحد النصوص. وإني لأتساءل: كم من المسلمين يعرفون هذه الحقيقة التي حدثت بعد قليل من وفاة محمد، من أن نصوصاً كثيرة من القرآن كانت موجودة، وقد اشتملت هذه النصوص على حشد من القراءات المختلفة. وخلال فترة ولايته وردت إليه التقارير التي تفيد بأن المسلمين في شتى بقاع سوريا وأرمينيا والعراق كانوا يتلون القرآن بطريقة تختلف عن تلاوة المسلمين له في الجزيرة العربية. فما كان من عثمان إلا أن أحضر فوراً نسخة القرآن اليدوية التي كانت بحوزة حفصة إحدى زوجات محمد وابنة عمر، وأمر زيد بن ثابت وثلاثة آخرين بنسخها وتصحيحها متى كان ذلك ضرورياً، أن يصححوها متى كان ذلك ضرورياً. وعندما تم إنجاز المطلوب فإنا نقرأ أن عثمان اتخذ إجراءات صارمة إزاء مخطوطات القرآن اليدوية الأخرى التي كانت موجودة. وبعث عثمان إلى كل إقليم إسلامي بنسخة مما نسخ، وأمر أن تحرق جميع المواد القرآنية الأخرى سواء كانت على صحائف متناثرة أو نسخاً كاملة، إن لم تكن متناقضة فإني أستغرب لماذا أمر بإحراقها. إن الوحيدين الذين طالما أمروا بإحراق الإنجيل هم أولئك الذين كانوا له كارهين»[1].

---

(١) هذا النص مأخوذ من الترجمة العربية للمناظرة.

أشـرنا من ذي قـبل إلى اعـتـراف القس سـويقـارت في أول المناظرة بأن معلوماته الإسلامية سطحية وجاءت متأخرة. وفي المقابل ثمة حشد هائل من التهم والأباطيل كالها في المناظرة ضد القرآن الكريم والإسلام ونبي الإسلام، وقد اشتمل هذا النص المقتبس على حشد من التهم ضد صحة النص القرآني. وكل ذلك دليل على أن القس سـويقـارت ليس سـوى اللسـان الناطق لتلك الجهات أو لأولئك الأفراد الذين يكيدون للإسلام ظاهراً أو في الخفاء. وهل أولئك الذين يكيدون للإسلام يجهلون أن هذه الشبهات التي يثيرونها شبهات قديمة قد قتلها العلماء المسلمون درساً ودحضاً وتفنيداً؟ هم قطعاً لا يجهلون ذلك وهم إنما يريدون لهذه الشبهات أن تبقى ماثلة في الأذهان وراسخة في النفوس من أجل صرف الناس عن دين الإسلام من ناحية، ومن أجل إثارة الشكوك في نفوس المسلمين من ناحيـة أخـرى. ونحن في ردنا على تلك الشبهات ودحضها بإذن الله تعالى نريد من ناحية أن نزيل العوائق التي يضعها المغـرضـون في طريق الذين يبحثون عن الدين الحق ويريدون اعتناق دين الإسلام، ونريد من ناحية أخرى تحصين أبناء المسلمين وبناته ضد تلك الشبهات التي لا يسأم المغرضون من إثارتها في كل زمان ومكان. ومن مقومات الرد والتحصين يتبين وجه الحق في المسألة من جوانبها المتعددة في حدود ما يسمح به المقام.

ولما كانت الشبه في النص السابق تتخذ الكذب في الأساس مطية لها فإنا نود أن نضع بين يدي القارىء والقارئة ابتداء النص الذي تم تحريفه والكذب بشأنه، وهو نص جاء في صحيح البخاري، أصح الكتب بعد القرآن الكريم لدى أمة الإسلام، وأن نبين معنى ذلك النص وملابساته، وأن نتحول بعد ذلك إلى تبيين بعض المسائل التي نعتقد أنها تخدم غرضينا من إزالة العوائق في طريق الذين يريدون اعتناق دين الإسلام الحق، ومن تحصين أبناء المسلمين وبناتهم

ضد الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصوم الإسلام. لقد كان كذب القس سويقارت صريحاً بشأن عثمان رضي الله تعالى عنه.

جمع القرآن الكريم على عهد عثمان

جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني[1]: «حدثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان[2] قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذْرَبيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف

---

(١) ٩/١١ حديث رقم ٤٩٨٧ وانظر: ٤٩٨٤ و ٣٥٠٦.

(٢) حذيفة بن اليمان .. ٣٦هـ - ٦٥٦هـ العبسي من الولاة الشجعان الفاتحين. صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين. أرسله رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب سرية وحده. ولاه عمر على المدائن بفارس وحضر الحرب بنهاوند، فلما قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش أخذ الراية. فتح الله تعالى على يده همذان والري والدينور. انظر **تهذيب الأسماء واللغات** ١/١٥٣، **والأعلام** ٢/١٧١.

في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

في هذا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه يروي أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين. وكان حذيفة من جملة من غزا أرمينية من أهل الشام. وكان عثمان أمر أهل الشام وأهل العراق أن يجتمعوا على ذلك[١] وقد أفزع حذيفة اختلاف أهل الشام وأهل العراق في قراءة القرآن الكريم في أثناء اجتماعهم في غزو أرمينية، وهي مدينة عظيمة من جهة بلاد الروم[٢] وغزو أذربيجان[٣] وكانت هذه القصة في سنة خمس وعشرين في السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان[٤]: «وفي رواية عمارة بن غزيّة أن حذيفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتى أتي عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس. فقال: وماذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينية، فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أبيّ بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق. وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبدالله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفّر بعضهم بعضا»[٥] ولا ننسى أن كلاً من أُبَيّ وابن مسعود قد أمر المصطفى ﷺ بأن يؤخذ منهما القرآن الكريم، جاء في فتح

---

(١) **فتح الباري** ٩ / ١٦.

(٢) **فتح الباري** ٩ / ١٧.

(٣) أذربيجان بفتح الهمزة والذال المعجمة وسكون الراء، وقيل بسكون الذال وفتح الراء وبكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم جيم خفيفة وآخره نون، **فتح الباري** ٩ / ١٧: «وهي الآن تبريز وقصباتها، وهي تلي أرمينية من جهة غربيها» **فتح الباري** ٩ / ١٧.

(٤) **فتح الباري** ٩ / ١٧.

(٥) **فتح الباري** ٩ / ١٨.

البـاري[١] : « . . عن مسروق، ذكر عبدالله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة، من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبيّ بن كعب» فأرسل عثمان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما يطلب منها إرسال الصحف التي جُمِعَتْ في عهد أبي بكر من أجل نسخها في المصاحف. وإنما كانت الصحف عند حفصة لأنها كانت وصية عمر، فاستمر ما كان عنده عندها[٢] والفرق بين الصحف والمصحف أن الصحف الأوراق المجردة التي جُمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سوراً مفرقة، كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفاً[٣] فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر بنسخها زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي النجاري جامع القرآن الكريم على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وعبدالله ابن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أول مولود في المدينة بعد الهجرة[٤] وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي الصحابي[٥] الذي كان أفصح الناس وأشبههم لهجة برسول الله ﷺ[٦] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني التابعي الثقة الجليل القدر والذي كان من أشراف قريش[٧] «وفي رواية مصعب بن سعد: فقال عثمان: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله

---

(١) ٩/ ٤٦ حديث رقم ٤٩٩٩ فتح الباري.

(٢) فتح الباري ٩/ ١٦.

(٣) فتح الباري ٩/ ١٨.

(٤) انظر الأعلام ٤/ ٨٧.

(٥) الأعلام ٣/ ٩٦ .

(٦) فتح الباري ٩/ ١٩.

(٧) الأعلام ٣/ ٣٠٣.

ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأي الناس أعرب؟ وفي رواية أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص. قال عثمان: فليملّ سعيد وليكتب زيد»[١] وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت الأنصاري في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا. «وزاد الترمذي . . . قال ابن شهاب: فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه. فقال القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوه. فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش»[٢] والتابوه، لغة في التابوت، أنصارية[٣] وقال القاسم بن معن: لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التابوت، فلغة قريش بالتاء، ولغة الأنصار بالهاء[٤] قال أبو بكر بن مجاهد: التابوت بالتاء قراءة الناس جميعاً، ولغة الأنصار التابوه بالهاء[٥] حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا «واختلفوا في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة. وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف من طريق حمزة الزيات قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف، وبعث منها إلى الكوفة بمصحف فوقع عند رجل من مراد، فبقي حتى كتبت مصحفي عليه. قال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتبت سبعة مصاحف إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة. وحبس بالمدينة واحداً[٦]

---

(١) فتح الباري ٩ / ١٩.

(٢) فتح الباري ٩ / ٢٠.

(٣) لسان العرب: «تبه» و «تبت».

(٤) لسان العرب: «توب».

(٥) لسان العرب: «توب».

(٦) فتح الباري ٩ / ٢٠، وانظر الإتقان ١ / ٢١١، والنشر ٧ والإبانة ٦٥ ومناهل العرفان ١ / ٣٩٥

وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له الإمام[١] وكـان يرسل إلى كل إقليم مصحفه مع من يوافق قراءته في الأكثر الأغلب[٢].

وأمر عثمان رضي الله عنه بما سوى المصحف الذي استكتبه والمصاحف التي نقلت منه وسوى الصحف التي كانت عند حفصة وردها إليها أن يحرق[٣] وقد جزم عياض بأنهم غسلوها بالماء ثم أحرقوها مبالغة في إذهابها[٤].

ولما أعيدت صحف حفصة إليها ظلت عندها حتى توفيت، وقد حاول مروان بن الحكم المتوفى سنة ٦٥هـ أن يأخذها منها ليحرقها فأبت، حتى إذا توفيت أخذ مروان الصحف وأحرقها[٥] يقول ابن حجر[٦]: «زاد أبو عبيد وابن أبي داود من طريق شعيب عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر قال: كان مروان يرسل إلى حفصة ـ يعني حين كان أمير المدينة من جهة معاوية ـ يسألها الصحف التي كتب منها القرآن فتأبى أن تعطيه. قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبدالله بن عمر ليرسلن إليه تلك الصحف. فأرسل بها إليه عبدالله بن عمر، فأمر بها مروان فشقّقت وقال: إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب»[٧] وقال ابن الجزري[٨]: «وأجمعت الأمة المعصومة

---

(١) النشر ٧.

(٢) مناهل العرفان ١/٣٩٦.

(٣) فتح الباري ٩/٢١.

(٤) فتح الباري ٩/٢١.

(٥) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح ٨٣.

(٦) فتح الباري ٩/٢٠.

(٧) وفي رواية: «فشقّقها وحرّقها» فتح الباري ٩/٢٠ وانظر الإبانة ٦١.

(٨) النشر ٧.

من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن. وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي ﷺ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط، وكان من جملة الأحرف التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف. فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ، كما صرح به غير واحد من أئمة السلف كمحمد بن سيرين وعبيدة السلماني وعامر الشعبي. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل. وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله ﷺ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ»[1] وقد قال الطبري في كتاب البيان: لا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم المشفق عليهم الناصح لهم دون ما عداه من الأحرف السبعة[2].

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان أن جمع أبي بكر كان خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ وجمع عثمان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات. فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره.. واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم،

---

(١) انظر **الإتقان** ١/٢٠٩ ـ ٢١١، **والمقنع** للداني ٧، **وفتح الباري** ٩/١٨، **والإبانة** ٣٢.

(٢) **الإبانة** ٥٢.

وإن كان قد وُسِّعَ قراءته بلغة غيرهم، رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت[١] وكانت لغة قريش أرجح اللغات فاقتصر عليها[٢] وجاء في النشر [٣]: «وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، متضمنة لها لم تترك حرفاً منها».

وأكثر الرواة قد ذهبوا إلى أن المصحف الإمام كتب على حرف زيد بن ثابت[٤]: «ومعنى قولنا حرف زيد، أي قراءته وروايته وطريقته»[٥].

ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان. ولتصدّيهم للقراءة نسبت إليهم[٦] ومن هؤلاء القراء السبعة ذوو القراءات المشهورة السبع. وهم: **نافع المدني** توفي سنة تسع وستين ومائة في خلافة الهادي، **وابن كثير المكي** توفي سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبدالملك، **وأبو عمر بن العلاء البصري**، توفي سنة أربع وخمسين ومائة، **وابن عامر الدمشقي**، توفي سنة ثماني عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، **وعاصم الكوفي**، توفي سنة تسع وعشرين ومائة في أيام مروان بن محمد، **وحمزة الكوفي**، توفي سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي

---

(١) فتح الباري ٩ / ٢١، والإتقان ١ / ٢١٠.

(٢) فتح الباري ٩ / ٢١.

(٣) ص ٣١.

(٤) الإبانة ٩٥.

(٥) الإبانة ٩٥.

(٦) النشر ٨ .

جعفر، والكسائي الكوفي، توفي سنة تسع وثمانين ومائة كما قال البخاري[١].

وقد وضع العلماء ثلاثة شروط للقراءة الصحيحة وللذي يقبل من القرآن:

١ ـ أن ينقل عن الثقات عن النبي ﷺ.

٢ ـ ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغاً.

٣ ـ ويكون موافقاً لخط المصحف[٢].

ونبادر إلى التنبيه بأن الأحرف السبعة غير القراءات السبع، وأن هذه القراءات السبع جزء من الحرف الواحد الذي جمع عثمان رضي الله تعالى عنه المسلمين عليه في الجمع الأخير للقرآن الكريم في المصحف الإمام سنة خمس وعشرين هجرية.

مما سبق يتبين أن القس سويقارت قد كال التهم للقرآن الكريم كيلاً، وأنه حرّف النصوص وكذب على عثمان رضي الله تعالى عنه، كما تبين أن ردنا عليه يكاد يقتصر على الشبه التي أثارها حول الجمع الأخير للقرآن الكريم على عهد عثمان رضي الله عنه والذي كان على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أذن المصطفى ﷺ للمسلمين أن يقرأوا القرآن الكريم بها وقتاً من الأوقات بقصد التيسير على الأمة. والمعروف أن القرآن الكريم جمع للمرة الثالثة والأخيرة في عهد عثمان رضي الله عنه على حرف واحد، وجمع للمرة الثانية في عهد أبي بكر رضي الله عنه على الأحرف السبعة، وكتب كله قبل ذلك في عهد المصطفى ﷺ على الأحرف السبعة كذلك. والمعروف كذلك أن الخلفاء الراشدين الثلاثة في نسق، أبا بكر وعمر وعثمان تعاونوا على جمع القرآن في المرتين الثانية والثالثة، وأن زيد بن ثابت كاتب الوحي للمصطفى ﷺ هو الذي كتب أكثر القرآن الكريم بحضرة النبي ﷺ وبأمر منه بعد الوحي مباشرة، وهو الذي كتب

---

(١) انظر مثلاً **الإقناع** لابن الباذش ١ / ٥٥ فما بعدها، وكتاب **السبعة** لابن مجاهد.

(٢) **النشر** ١٤، وانظر: **الإبانة** ٥١ و٥٢.

القرآن الكريم وجمعه في المرتين الأخريين، الثانية والأخيرة. وثمة أسباب مختلفة وراء كون زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه كاتب الوحي للمصطفى ﷺ وجامع القرآن الكريم وكاتبه على عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، من بينها أنه رضي الله عنه قاريء كاتب شاب مؤتمن عاقل حافظ للقرآن الكريم عن ظهر قلب صاحب العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على المصطفى ﷺ، رأس بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض.

ولما كانت الشبهات التي آثارها القس سويقارت بقصد التشكيك في القرآن الكريم تشمل كل الفترات السابقة على عهد عثمان رضي الله تعالى إلى عهد المصطفى ﷺ، ولما كانت هذه الدراسة تهدف من ناحية إلى رد تلك الشبهات، ومن ناحية أخرى إلى وضع البديل الصحيح الذي نريد لأبناء الإسلام وبناته، ولراغبي الحق أن يقفوا عليه ويتسلحوا به، فإنا نرغب أن نبين في إيجاز مجموعة من المسائل التي تحقق بإذن الله تعالى هذين الهدفين معاً. وهذه المسائل يأخذ بعضها بحجز[1] بعض وفق تسلسلها التاريخي غالباً حتى تسلمنا إلى جمع القرآن الكريم على عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ثالث الخلفاء الراشدين سنة ٢٥هـ. ولما كان القس سويقارت في القول: «بأنه بعد وفاة محمد كان يوجد عدد لا بأس به من نسخ القرآن المتداولة التي لم تستقر بعد» إنما يغمز من طرف خفي أوجه القراءات المتواترة عن المصطفى ﷺ وحديث الأحرف السبعة فقد كانت منا محاولة لتبيين معنى الحديث المتواتر: أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا بما شئتم، الذي كُتب القرآن الكريم في ضوئه على عهد المصطفى ﷺ وجمع على عهد أبي بكر رضي الله عنه. وهذه هي العناوين الجانبية لهذه الدراسة:

---

(١) الحجز بوزن غرف جمع حجزة بوزن غرفة وهي معقد الإزار وموضع التكة من السروال.

- تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم.
- بدء الوحي.
- فترة الوحي .
- تكفل الله تعالى بتثبيت القرآن في صدره عليه الصلاة والسلام.
- معارضة القرآن ومدارسته مع جبريل.
- دور السطر والصدر في حفظ القرآن الكريم.
- جمع القرآن الكريم على عهد أبي بكر.
- زيد بن ثابت كاتب الوحي.
- عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت يتعاونان على جمع القرآن.
- حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف.
- بعض روايات الحديث.
- معنى الحديث .

ـ تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم :

قص الله تعالى في القرآن الكريم على النبي ﷺ بعض الرسل ولم يقصص عليه بعضهم. ومن بين هؤلاء النبيين الموحى إليهم بالنبوة من أوحى الله تعالى إليه الكتاب السماوي. وقد أشار القرآن الكريم إلى أربعة من هؤلاء النبيين السابقين الموحى إليهم بالكتب السماوية وهم إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه. وهذه الكتب السماوية هي **صحف** إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم جميعاً صلوات الله تعالي وسلامه. ومن بين هذه الكتب السماوية الأربعة اثنان لا نكاد نعرف عنهما إلا الاسم وهما **صحف** إبراهيم وزبور داود عليهما السلام. واثنان تعرضا بنص القرآن الكريم للتحريف وهما توراة موسى وإنجيل عيسى عليهما السلام. وإنما تعرضت الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم للضياع أو التحريف لأن الله تعالى لم يتكفل بحفظها، إنما أوكل جل وعلا مهمة حفظها إلى العلماء أو رجال الدين، وقد خانوا في مجموعهم الأمانة. وهذه الكتب السماوية السابقة كانت منهجاً ولم تكن معجزة ثم إن رسالات المرسلين السابقين كانت محلية ولم تكن عالمية. وقد انفرد القرآن الكريم بكونه المنهج والمعجزة معاً، هذا إلى أن المصطفى ﷺ خاتم النبيين، وأن رسالته عليه الصلاة والسلام عالمية منذ فجرها.

إن تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم إلى يوم الدين قوة لختم النبوة ولعالمية الرسالة. ومما جاء في هذه المعاني قول الحق جل وعلا: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من**

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٨.

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. وكان الله بكل شيء عليما﴾[١].

ـ بدء الوحي :

حينما كان المصطفى ﷺ في الأربعين من عمره بعثه الله تعالى للعالمين بشيراً ونذيراً، بأن نزلت عليه أولى قطرات غيث القرآن الكريم متمثلة في الآيات الخمس الأول من سورة العلق. وقد سبق نزول هذه الآيات الكريمات إرهاصان أو مرشحان لهما. الأول هو الرؤيا الصادقة في النوم[٢] فكان عليه الصلاة والسلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، أي: جاءت مثل مجيء ضياء الصبح[٣] والآخر أنه عليه الصلاة والسلام حُبب إليه الخلاء بمعنى الخلوة، والسر فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له[٤] وكان يخلو بغار حراء، وهو جبل بمكة المكرمة، الليالي ذوات العدد ومدتها شهر، هو شهر رمضان[٥] يتحنث فيه أي يلقي الحِنْث وهو الإثم[٦] ويتخلص منه، ويتحنف فيه بمعنى يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم عليه السلام[٧] جاء في كتاب بدء الوحي في صحيح البخاري الحديث رقم (٣)[٨]: «عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.
(٢) صحيح مسلم ٢/١٩٧.
(٣) فتح الباري ١/٢٣.
(٤) فتح الباري ١/٢٣.
(٥) فتح الباري ١/٢٣.
(٦) فتح الباري ١/٢٣.
(٧) فتح الباري ١/٢٣.
(٨) فتح الباري ١/٢٢، وانظر: صحيح مسلم ٢/١٩٧.

فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع (أي يرجع) إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة (هي أم المؤمنين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى) فيتزود لمثلها (من الليالي) حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك (جبريل عليه السلام) فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقاريء. (أي ما أحسن القراءة) قال: فأخذني فغطني (أي ضمني وعصرني) حتى بلغ مني الجَهد (أي بلغ الضم والعصر غاية وسعي) ثم أرسلني (أي أطلقني) فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقاريء. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقاريء. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم﴾**[1] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده[2] فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني (أي لفّوني) فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع (أي الفزع) فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلاّ والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ (وهو من لا يستقل بأمره) وتكسب المعدوم (أي الفقير) وتَقْري الضيف (أي تكرمه) وتعين على نوائب الحق (وهي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم) فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمي،

---

(١) جاء النص هنا على ثلاث آيات وجاء النص على الخمس الآيات في الحديث رقم ٤٩٥٣ فتح الباري ٨ / ٧١٥، وانظر الفهرست لابن النديم ٣٧.

(٢) في حديث ٤٩٥٣: «ترجف بوادره» والبوادر جمع بادرة: اللحمة بين المنكب والعنق. فتح الباري.

فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك[١] فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس (أي صاحب السر، والمراد به هنا جبريل عليه السلام) الذي نزّل الله على موسى[٢] يا ليتنى فيها جَذَعاً (أي شاباً) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً (أي قوياً) ثم لم يَنْشَبْ (أي لم يلبث) ورقة أن توفي وفتر الوحي».

وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر، وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان[٣].

ـ فترة الوحي:

فتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود[٤] وقد جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياما[٥] وبشأن فترة الوحي هذه المرة جاء في صحيح البخاري في حديث رقم ٤٩٢٦[٦] عن «جابر بن عبدالله أنه سمع

(١) لأن والده عبدالله بن عبدالمطلب وورقة في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء، فكان من هذه الحيثية في درجة إخوته.

(٢) لم يقل عيسى مع كونه نصرانياً لأن كتاب موسي عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى.

(٣) **فتح الباري** ١/ ٢٧.

(٤) **فتح الباري** ١/ ٢٧.

(٥) **فتح الباري** ١/ ٢٧.

(٦) **فتح الباري** ٨/ ٦٧٩، وكذلك حديث رقم (٤) **فتح الباري** ١/ ٢٧، وللحديث أطراف ذكرت في **فتح الباري** ١/ ٢٧، وانظر: **صحيح مسلم** ٢/ ٢٠٦.

رســول الله ﷺ يحدّث عن فترة الوحي: فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء. فرفعت بصري قِبَلَ السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه (أي ذُعرت منه)[١] حتى هَوَيْت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني فزملوني. فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر﴾[٢] والرجز: الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع».

تكفل الله تعالى بتثبيت القرآن في صدره عليه الصلاة والسلام

كان النبي ﷺ في ابتداء الأمر إذا لُقن القرآن نازع جبريل القراءة ولم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ لئلا ينفلت منه شيء. قاله الحسن وغيره[٣] فأمر بأن ينصت حتى يقضى إليه وحيه، ووعد بأنه آمن من تفلته منه بالنسيان أو غيره[٤] جاء في سورة القيامة المكية[٥] في هذا المعنى قوله تعالى: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه﴾**[٦] وجاء في **فتح الباري**[٧]: «سورة القيامة مكية باتفاق. بل الظاهر أن نزول هذه

---

(١) رواية حديث رقم (٤) فرعبت منه، بضم الراء وكسر العين، أو بفتح الراء وضم العين، أي: فزعت. **فتح الباري** ١ / ٢٨.

(٢) أكملنا الآيات الكريمات.

(٣) **فتح الباري** ١ / ٣٠.

(٤) **فتح الباري** ١ / ٣٠.

(٥) **فتح الباري** ١ / ٢٩.

(٦) سورة القيامة الآيات: ١٦-١٩.

(٧) ١ / ٢٩.

الآيات كان أول الأمر، وإلى هذا جنح البخاري في إيراده هذا الحديث[١] في بدء الوحي» والخطاب في الآيات الكريمات للمصطفى ﷺ الذي ينهاه ربه جل وعلا أن يحرك لسانه وشفتيه في أثناء تلقيه الوحي من جبريل عليه السلام أو أن يسابقه في قراءته ويبادره إلى أخذه، والذي يطمئنه ربه جل وعلا بتثبيت القرآن الكريم في فؤاده وذلك في القول: ﴿إنّ علينا جمعه وقرآنه﴾ والمعني: إن علينا جمع القرآن الكريم في صدرك فلا تنساه وقد قال تعالى: **﴿سنقرؤك فلا تنسى﴾**[٢] وإن علينا أن تقرأه بعد ذلك. عن ابن عباس: إن علينا جمعه، قال: في صدرك، وقرآنه، قال: تقرؤه بعد[٣] كما يرشد رب العزة حبيبه في القول: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ والمعنى: فإذا قرأنا بقراءة جبريل عليه السلام له فاستمع قراءته وأنصت له ثم اقرأه كما أقرأك[٤] ويتفضل رب العزة على حبيبه في القول: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ والمعنى أن رب العزة يهب المصطفى ﷺ مزيد فضل منه جل وعلا بأنه سبحانه وتعالى سوف يبين له عليه الصلاة والسلام معاني القرآن الكريم ومراميه و«ما فيه من حلاله وحرامه وأحكام لك مفصلة»[٥] وقد قال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾**[٦].

---

(١) يريد الحديث رقم (٤) **فتح الباري** ١/ ٢٩.

(٢) سورة الأعلى، آية: ٦.

(٣) **تفسير الطبري** ٢٩/ ١١٨.

(٤) انظر **تفسير الطبري** ٢٩/ ١١٨، **وتفسير ابن كثير** ٤/ ٤٤٩، **والجلالين وفتح الباري** ١/ ٣٠.

(٥) **تفسير الطبري** ٢٩/ ١١٩.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٤.

وانظر الحديث في هذا المعنى في صحيح البخاري(١) وفتح الباري(٢).

ـ معارضة القرآن ومدارسته مع جبريل :

تكفل الله سبحانه وتعالى بتثبيت القرآن الكريم في صدره ﷺ. وإن من وسائل هذا التثبيت بإذن الله تعالى مدارسة النبي ﷺ جبريل عليه السلام القرآن الكريم ومعارضته له خلال شهر رمضان من كل عام. جاء في صحيح البخاري(٣): «عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجودُ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسُه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» إن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يبين أن المصطفى ﷺ كان أجود الناس وأكرمهم طبعاً وسجية، وأنه كان أجود ما يكون وأكرم ما يكون في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الكريم حين يلقاه جبريل عليه السلام. إن جبريل عليه السلام كان يلقى النبي ﷺ في كل ليلة من شهر القرآن الكريم فيدارسه القرآن الكريم ويتعاهده ويعارضه، بأن يقرأ جبريل عليه السلام ويصغى المصطفى ﷺ، ويقرأ ﷺ ويصغى جبريل عليه السلام، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير في الشهر الكريم من الريح الطيبة، المرسلة بالرحمة، السريعة بالخير، الدائم هُبوبها، العام نفعها. «ووقع عند أحمد في آخر هذا الحديث: لا يسأل شيئاً إلا أعطاه. وثبتت هذه الزيادة في الصحيح من حديث جابر: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لا»(٤).

---

(١) ١/٤.

(٢) ١/٢٩ حديث رقم (٤) وثمة الأرقام التي فيها أطراف الحديث.

(٣) ١/٥ وفتح الباري ١/٣٠، حديث رقم (٥)، وأطراف الحديث في ١٩٠٢، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤، ٤٩٩٧.

(٤) فتح الباري ١/٣١.

وفي صحيح البخاري[١] : «باب : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : وقال مسروق عن عائشة رضي الله عنها عن فاطمة عليها السلام : أسر إليّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني ا لعام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي» ومعنى المعارضة في حديث فاطمة عليها السلام المفاعلة من الجانبين كأنّ كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع[٢] .

و«عن أبي هريرة قال : كان يَعْرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه . وكان يعتكف في كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه»[٣] والاعتكاف في الشرع هو الاحتباس في المسجد على سبيل القربة[٤] .

ـ دور السطر والصدر في حفظ القرآن الكريم:

حينما كان ينزل على المصطفى ﷺ شيء من القرآن الكريم كان يدعو على الفور واحداً من كتبة الوحي ويملي عليه ما أوحى الله تعالى به إليه من قرآن مجيد . ويقوم الكاتب بدوره بالكتابة على إحدى الوسائل البسيطة البدائية التي كان يكتب عليها آنذاك من عظم أو جلد أو حجر أو خشب أو ما أشبه ذلك . وكان للنبي ﷺ الكثير من الكاتبين الذين كان عددهم زهاء الأربعين كاتباً[٥] وإليك ـ على سبيل المثال ـ هذه التجربة العملية لزيد بن ثابت رضي الله عنه كاتب الوحي الأول في المدينة المنورة[٦] روى الإمام أحمد أن زيد بن ثابت قال : إني

---

(١) ٦ / ٢٢٩ وفي **فتح الباري** ٩ / ٤٣ الحديث بدون رقم بين الحديث ٤٩٩٦ و ٤٩٩٧ .
(٢) انظر **فتح الباري** ٩ / ٤٣ .
(٣) **صحيح البخاري** ٦ / ٢٢٩، و**فتح الباري** ٩ / ٤٣ حديث رقم ٤٩٩٨ .
(٤) مفردات الراغب الأصفهاني : «عكف» ٣٤٣ .
(٥) انظر هنا ـ مثلاً ـ **مباحث في علوم القرآن**، د. صبحي الصالح ٦٩ هامش ٣ .
(٦) **تفسير ابن كثير** ١ / ٥٤٠ .

قـاعـد إلى جنب النبي ﷺ إذ أوحيَ إليه وغشيته السّكينة قال: فرفع فخذه عـلـى[١] فخذي حين غشيته السّكينة. قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئًا قطّ أثقل من فخذ رسول الله ﷺ، ثم سرّي عنه فقال: اكتب يازيد، فأخذت كتفاً فقال: اكتب ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون﴾ إلى قوله: ﴿أجراً عظيماً﴾[٢] فكتبت ذلك في كتف. فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى فقال حين سمع فضيلة المجاهدين: يارسول الله، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ومن هو أعمى وأشباه ذلك. قال زيد: فوالله ما قضى كلامه، أو ما هو إلا أن قضى كلامه، حتى غشيت النبي ﷺ السكينة فوقعت فخذه على فخذي فوجدت من ثقلها كما وجدت المرة الأولى ثم سرّي عنه فقال: اقرأ، فقرأت عليه: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون﴾ فقال النبي ﷺ: ﴿غير أولي الضرر﴾ قال زيد فألحقتها. فوالله كأني أنظر إلى ملحقها عند صَدع كان في الكتف. والصدع بفتح الصاد، الشق في شيء صلب، والجمع صدوع[٣].

من هذه الرواية نتبين كتابة الموحى به على الفور، وعلى الوسيلة المتاحة آنذاك، كما نتبين أن عظم الكتف هو المادة التي كتبت عليها هذه الآية الكريمة الخامسة والتسعون من سورة النساء، وأن الإضافة الموحى بها: ﴿غير أولي الضرر﴾ كتبت عند صدع أو شق في ذلك العظم من الكتف. والمعروف أن من كتاب الوحي، إضافة إلى زيد بن ثابت، الخلفاء الأربعة الراشدين، أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّا، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس[٤].

---

(١) أكملنا النقص من طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ١/ ٥٥٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٣) القاموس المحيط: «صدع».

(٤) انظر مثلاً: مباحث في علوم القرآن ـ د. صبحي الصالح ٦٩.

ونستطيع أن نفهم بداهةً أن هذه المادة المكتوبة من القرآن الكريم على تلك الوسائل البسيطة كانت تودع بيت المصطفى ﷺ[١].

وبالإضافة إلى كتابة ما يوحى به من القرآن الكريم إلى المصطفى ﷺ، كان باستطاعة من يريد الحصول على شيء مكتوب من القرآن الكريم يكون خاصاً به أن يفعل ذلك، وعلى مرأى منه ﷺ وبحضرته عليه الصلاة والسلام. جاء في الإتقان[٢]: «وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور». قال الخطابي: «إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته. فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة. فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر»[٣].

وإليك ما يقول ابن الجزري، مبيناً دور الحفظ والكتابة، الصدر والسطر، في حفظ القرآن الكريم، منوهاً بما خص الله تعالى به هذا الكتاب العزيز من بين سائر الكتب السماوية من تيسير الله تعالى حفظه في الصدور. يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة[٤]: «ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب. وهذه أشرف خِصّيصة من الله تعالى لهذه الأمة. ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: إن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم. فقلت: إذا يثلغوا رأسي (أي يشدخوه ويشجوه) حتى يدعوه[٥] خبزة (أي كما يشدخ الخبز أي يكسر) فقال: مبتليك

---

(١) انظر مثلاً: مناهل العرفان ١ / ٢٤٠.

(٢) ١/ ٢٠٢.

(٣) **الإتقان**: ١ / ٢٠٢.

(٤) **النشر** ١ / ٦، وانظر: **صحيح مسلم بشرح النووي** ١٧ / ١٩٨ وما بين قوسين زيادة.

(٥) في **صحيح مسلم** ١٧ / ١٩٨: «فيدعوه».

ومبتل بك[١] ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء (أي محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على ممر الأزمان) تقرؤه نائماً ويقظان (أي محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة) فابعث جنداً أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك مَن عصاك وأنفق ينفق عليك. فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه في كل حال، كما جاء في صفة أمته: أناجيلهم في صدورهم. وذلك بخلاف أهل الكتاب الّذين لا يحفظونه إلا[٢] في الكتب ولا يقرءونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب. ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم. وكان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه. كل ذلك في زمن النبي ﷺ.

وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاّم في أول كتابه في القراءات من نُقِلَ عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم. فذكر من الصحابة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبدالله ومعاوية وابن الزبير وعبدالله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة. وهؤلاء كلهم من المهاجرين. وذكر من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء وزيد بن ثابت وأبا زيد ومجمع بن جارية وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين».

وحينما كان النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة بعث مصعب بن عمير وابن أم

(٥) في **صحيح مسلم**: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»، و: «معناه: لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده والصبر في الله تعالى وغير ذلك وأبتلي بك من أرسلتك إليهم» ـ النووي.

(١) في الأصل: «لا».

مكتوم إلى المدينة المنورة من أجل إقراء أهلها القرآن وتعليمهم الإسلام. وبعد الهجرة بعث معاذ بن جبل إلى أهل مكة للغاية ذاتها[١] كما أن النبي ﷺ قد وجه بعض المقرئين إلى البلدان ليعلموا الناس القرآن والدين[٢] وما أشد حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على تلاوة القرآن الكريم في المسجد النبوي الشريف[٣] وفي البيوت. حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق الدجى يسمع فيها دوياً كدوي النحل بالقرآن الكريم[٤] ومن هنا كان حُفاظ القرآن الكريم في حياته ﷺ كثيرين. وجاء في الإبانة[٥] : «على أن القراء يُسْنِدون قراءتهم في الأكثر إلى أبيّ وزيد، والنبي ﷺ. وقد صحت قراءتهم على النبي ﷺ» قال القرطبي: قد قُتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقُتل في عهد رسول الله ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد[٦] ومن الذين قُتِلوا سالم مولى أبي حذيفة، وهو أحد من أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنه[٧].

ـ جمع القرآن الكريم على عهد أبي بكر :

السبب في جمع أبي بكر رضي الله تعالى عنه القرآن الكريم خوفه أن يضيع شيء من القرآن الكريم بسبب كثرة قتل الحفاظ في المعارك. وإليك هذا الحديث الجامع في هذا المعنى وهو من صحيح البخاري. جاء في فتح الباري[٨] الحديث

---

(١) انظر مناهل العرفان ١ / ٢٣٤.

(٢) الإبانة ٤٨.

(٣) مناهل العرفان ١ / ٢٣٤.

(٤) مناهل العرفان ١ / ٢٣٤.

(٥) ص ١٠٤.

(٦) **مناهل العرفان** ١ / ٢٣٥، وانظر: **فتح الباري** ٩ / ١٢، **والإتقان** ١ / ٢٠٧.

(٧) **فتح الباري** ٩ / ١٢.

(٨) **فتح الباري** ٩ / ١٠، وما بين قوسين زيادة من **فتح الباري** غالباً.

رقم (٤٩٨٦): «حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن عبيد بن السبّاق أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر الصديق (أول الخلفاء الراشدين) مقتل أهل اليمامة (أي عقب قتل أهل اليمامة من الصحابة الذين جهزهم الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه بقيادة خالد بن الوليد لقتال مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وقوي أمره بعد موت النبي ﷺ بارتداد كثير من العرب، فحاربوه أشد محاربة، إلى أن خذله الله وقتله، وقُتلَ في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة، قيل سبعمائة وقيل أكثر، واليَمامة من نجد. وكان فتح اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب سنة ١٢ للهجرة) فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر (أي كثر واشتد) يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب (بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشِطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. والخوص، بضم الخاء: ورق النخل الواحدة بهاء)[1] واللخاف (بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة وآخرها فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون

---

(١) القاموس المحيط: «خوص».

المعجمة: هي الحجارة الرقاق، وصفائح الحجارة الرقاق) وصدور الرجال. حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾ حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه».

وجاء في حديث آخر في البخاري ويحمل في فتح الباري رقم (٤٦٧٩)[١] ما يلي: «فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرِّقاع (جمع رُقعة، وقد تكون من جلد أو رَقّ أو كاغَد)[٢]، والأكتاف (جمع كَتِف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا عليه)[٣] والعُسُب وصدور الرجال .. وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر».

وبما أن مهمة جمع القرآن الكريم قد أسندت إلى زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه فإنا نود أن نعرف شيئاً عن هذا الصحابي الجليل.

- زيد بن ثابت كاتب الوحي ١١ ق هـ ٤٥هـ (٦١١ - ٦٦٥م).

زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي النّجّاريّ، أبو سعيد، من أكابر الصحابة، ولد في المدينة ونشأ بمكة، قتل أبوه يوم بُعاث بين الأوس والخزرج وذلك قبل الهجرة بخمس سنين. وكان زيد ابن ست سنين، وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن ١١ سنة. ويقال إن أول مشاهده الخندق، وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك، وكتب الوحي للنبي ﷺ[٤] ولكثرة تعاطيه كتابة الوحي

(١) فتح الباري ٨/ ٣٤٤.
(٢) الإتقان ١/ ٢٠٧.
(٣) الإتقان ١/ ٢٠٧.
(٤) الإصابة ١/ ٥٦١، والإعلام ٣/ ٥٧، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٢٠٠.

بالمدينة بعد الهجرة أطلق عليه الكاتب بلام العهد[١] وقد جاء في صحيح البخاري عنه[٢]: «باب كاتب النبي ﷺ» وتعلم وتفقه في الدين فكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وكان عمر وعثمان يستخلفانه على المدينة إذا سافرا. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار وعرضه عليه، وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار[٣] وكان هو الذي تولى قسم غنائم اليرموك. وكان يعرف العبرية والسريانية[٤] والفارسية والحبشية والقبطية والرومية[٥] ذكر له أبو بكر أربع صفات مجتمعه أهّلته كي يجمع القرآن فهو شاب عاقل لا يُتهم وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ[٦] وكان أحد أصحاب الفتوى وهم ستة عمر وعلي وابن مسعود وأبيّ وأبو موسى وزيد بن ثابت[٧] وهو أحد الذين علمهم أسرى بدر الكتابة[٨] وكان أعلم الصحابة بالفرائض للحديث: أفرضكم زيد[٩] جاء في الإتقان[١٠]: «وقال البغوي في شرح السنة: يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله ﷺ وقرأها

---

(١) فتح الباري ٩ / ٢٢.
(٢) ٦/٢٢٦.
(٣) الأعلام ٣ / ٧٥، والإصابة وتهذيب الأسماء واللغات.
(٤) الإصابة ١ / ٥٦١.
(٥) الإسلام والمستقبل ـ د. عبد العزيز كامل ٤٣، اقرأ ٤٠١.
(٦) انظر: فتح الباري ٩ / ١٣، والإتقان ١ / ٢٠٣.
(٧) الإصابة ١ / ٥٦٢.
(٨) سيرة خاتم النبيين لأبي الحسن الندوي ١٥١.
(٩) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٠١.
(١٠) ١/١٧٧.

عليه. وكان يقرىء الناس بها حتى مات. ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف»، وجاء في الإبانة[١]: «وقد خص أبو بكر زيداً بجمع القرآن في السعف والجريد، ولم يخالفه فيه أحد من الصحابة. ثم خصه عمر بجمعه في الصحيفة، ولم يخالفه أحد من الصحابة. ثم خصه عثمان بجمع المصحف مع غيره، ولم يخالفه فيه أحد من الصحابة. وهذا كله يدل على فضل ظاهر بارع، وثقة وأمانة في زيد. ويقوّى ذلك تخصيص رسول الله ﷺ (له) بكتابة الوحي».

- عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت يتعاونان على جمع القرآن:

في موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان بعمر ففعل[٢] وأخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. رجاله ثقات مع انقطاعه[٣] قال السخاوي في جمال القرّاء: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن[٤] وأخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به. وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد

---

(١) ص ١٠٠، وما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق كما جاء في طبعة ١٤٠٥هـ ص ١١٤.
(٢) **الإتقان** ١/ ٢٠٧.
(٣) **الإتقان** ١/ ٢٠٥، وانظر: **فتح الباري** ٩/ ١٤.
(٤) **الإتقان** ١/ ٢٠٥، وانظر: **فتح الباري** ٩/ ١٥.

شهيدان. وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي لمجرد وِجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً، مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط[١].

قال أبو شامة: وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كُتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ. قال: ولذلك قال في آخر سورة التوبة: لم أجدها مع غيره، أي: لم أجدها مكتوبة مع غيره، لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة[٢] وكان جمع أبي بكر للقرآن بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة[٣] وقد تم لأبي بكر جمع القرآن كله خلال سنة واحدة تقريباً[٤] وأخرج ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن عن عبدالخير قال: سمعت علياً يقول: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله[٥] وفي مغازي موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جُمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف[٦] وأخرج ابن أشتة[٧] في كتاب

---

(١) **الإتقان** ١ / ٢٠٥، وانظر: **فتح الباري** ٩ / ١٤.

(٢) **الإتقان** ١ / ٢٠٦.

(٣) **مباحث في علوم القرآن** . د. صبحي الصالح ٧٤ وقد استمرت حروب الردة نحو سنة كاملة. انظر مثلاً: **العسكرية العربية الإسلامية** اللواء الركن محمود شيت خطاب ٣٢.

(٤) **مباحث في علوم القرآن** د. صبحي الصالح ٧٧.

(٥) **الإتقان** ١ / ٢٠٤.

(٦) **الإتقان** ١ / ٢٠٧.

(٧) ابن أشتة هو محمد بن عبدالله بن أشتة، أحد العلماء بالعربية والقراءات. وله كتاب في **شواذ القراءات**. توفي سنة ٣٠٦هـ.

المصاحف من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً فقال بعضهم: السفر. وقال بعضهم المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف. وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف[١] وقد ظفر مصحف أبي بكر بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه. وأكثر العلماء على أن طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن، فشابه في هذه الناحية الأخيرة جمع القرآن الأول على عهد الرسول الأمين ﷺ[٢].

ولما كان القرآن الكريم قد كتب على عهد الرسول ﷺ وعلى عهد أبي بكر مشتملاً على الأحرف السبعة في حين كتب على عهد عثمان على حرف واحد فذلك معناه أنا بحاجة إلى أن نتحدث في الأحرف السبعة. علماً بأن القس سويقارت قد غمزها بإشارته إلى نسخ القرآن المتداولة التي لم تستقر حسب زعمه بعد وفاة النبي ﷺ.

ـ حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف:

جاء في الإتقان[٣]: «قلت: ورد حديث نزل القرآن على سبعة أحرف، من رواية جمع من الصحابة، أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد ابن أرقم، وسمُرة بن جُندب، وسليمان بن صُرَد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكرة، وأبي جهم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة وأبي أيوب. فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً. وقد نص أبو عبيد على تواتره.

---

(١) **الإتقان** ١/ ١٨٥.

(٢) **مباحث في علوم القرآن** ٧٨.

(٣) ١/ ٦٣.

وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر : أذكّر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال : وأنا أشهد معهم».

وجاء في النشر[١] «وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلاّم رحمه الله على أن هذا الحديث تواتر عن النبي ﷺ قلت: وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام، وعبدالرحمن بن عوف، وأبيّ بن كعب، وعبدالله ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبدالله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي بكرة، وعمرو بن العاص، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب، وعمر بن أبي سلمة، وأبي جهيم، وأبي طلحة الأنصاري، وأم أيوب الأنصارية رضي الله عنهم . . وقد تكلم الناس على هذا الحديث بأنواع الكلام، وصنف الإمام الحافظ أبو شامة رحمه الله فيه كتاباً حافلاً» ويقول في موضع آخر[٢] : «ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله».

ـ بعض روايات الحديث :

روى مسلم في صحيحه[٣] : «عن أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة[٤] بني غِفار، قال : فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ

---

(١) ص ٢١.

(٢) النشر ٢٦.

(٣) ٦/١٠٣ وانظر: بعض الأحاديث الأخر في الإبانة عن معاني القراءات ١٠٥ فما بعدها.

(٤) الأضاة: هي بفتح الهمزة وبضاد معجمة مقصورة وهي الماء المستنقع كالغدير وجمعها أضاً كحصاة وحصاً وإضاء بكسر الهمزة والمد كأكمة وإكام.

أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: اسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيُّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا» ورواه أبو داود والترمذي وأحمد[١].

وقال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه متفق عليه. وهذا لفظ البخاري عن عمر[٢]. وروى البخاري في صحيحه[٣] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره[٤] في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه[٥] فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ أرسله[٦]

---

(١) النشر ٢٠.

(٢) النشر ١٩.

(٣) صحيح البخاري ٦ / ٢٢٧، وفتح الباري ٩ / ٢٣، حديث رقم ٤٩٩٢، وانظر: صحيح مسلم ٦ / ٩٨.

(٤) أساوره: أعاجله وأواثبه.

(٥) لببته بردائه: جمعت عليه ثيابه عند لبته لئلا يتفلت مني. واللبة بفتح اللام والباء: موضع القلادة من الصدر.

(٦) أرسله: أطلقه.

اقرأ ياهشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ ياعمر. فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه» وقد علق ابن حجر[١] على تخطئة عمر رضي الله عنه لهشام بن حكيم رضي الله عنه قائلاً: «وإنما ساغ له ذلك لرسوخ قدمه في الإسلام وسابقته، بخلاف هشام فإنه كان قريب العهد بالإسلام فخشي عمر من ذلك ألا يكون أتقن القراءة، بخلاف نفسه، فإنه كان قد أتقن ما سمع، وكان سبب اختلاف قراءتهما أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله ﷺ قديماً، ثم لم يسمع ما نزل فيها بخلاف ما حفظه وشاهده، لأن هشاماً من مسلمة الفتح فكان النبي ﷺ أقرأه على ما نزل أخيراً فنشأ اختلافهما من ذلك. ومبادرة عمر للإنكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف إلا في هذه الوقعة» وعمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي[٢].

وفي لفظ للترمذي عن أبيّ قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المرا[٣] قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني بُعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام». قال: فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف. قال الترمذي: حسن صحيح. وفي لفظ: فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ. وفي لفظ حذيفة. فقلت ياجبريل: إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني لم يقرأ كتاباً قط. قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف[٤].

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٥.

(٢) الإتقان ١/ ١٧٠، والنشر ٢٤.

(٣) المرا: موضع بقباء. الإبانة عن معاني القراءات ١٠، هامش ٢.

(٤) النشر ٢٠، وانظر: البرهان للزركشي ١/ ٢٢٧.

- **معنى الحديث :**

الحـرف في الأصل: الطرف والجـانب، وبه سُمي الحـرف من حـروف الهجاء[١] وجمعه أحرف وحروف يقال: حرف السيف وحرف السفينة وحرف الجبل، وحروف الهجاء أطراف الكلمة[٢]. «قال الأزهري: وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً. تقول هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود، ابن سيدة: والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه»[٣].

وجاء في النشر[٤]: «قال الحافظ أبو عمرو الداني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي ﷺ ههنا يتوجه إلى وجهين:

أحـدهمـا: أن يعني أن القـرآن أنزل على سبـعـة أوجـه من اللغـات لأن الأحرف جمع حرف في القليل كفَلس وأفْلُس. والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: ﴿يعبد الله على حرف﴾[٥]، الآية. فالمراد بالحرف هنا الوجه أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعَبَدَ الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة وكفر. فهذا عبد الله على وجه واحد. فلهذا سمى النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً، على معنى أن كل شيء منها وجه.

والوجه الثاني من معناها أن يكون سمّى القراءات أحرفاً على طريقة السّعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره وكان كسبب منه وتعلق به ضرباً من التعلق، كتسميتهم الجملة باسم البعض

---

(١) اللسان: «حرف» ومفردات الراغب الأصفهاني: «حرف» والنشر ٢٣.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني: «حرف» ١١٤.

(٣) اللسان: «حرف».

(٤) ص ٢٣.

(٥) سورة الحج آية: ١١.

منها، فلذلك سمّى ﷺ القراءة حرفاً وإن كان كلاماً كثيراً من أجل أن منها حرفاً قد غير نظمه أو كُسرَ أوقُلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة. فسمى القراءة إذا كان ذلك الحرف فيها حرفاً على عادة العرب في ذلك واعتماداً على استعمالها.

قلت (ابن الجزري) وكلا الوجهين محتمل، إلا أن الأول محتمل احتمالاً قوياً في قوله ﷺ: «سبعة أحرف» أي سبعة أوجه وأنحاء. والثاني محتمل احتمالاً قوياً في قول عمر رضي الله عنه في الحديث. سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ أي على قراءات كثيرة، وكذا قوله في الرواية الأخرى: سمعته يقرأ فيها أحرفاً لم يكن نبي الله ﷺ أقرأنيها. فالأول غير الثاني».

وبشأن الرقم سبعة في الحديث الشريف اختلف العلماء في حقيقة معناه. فمنهم من ذهب إلى أن المراد بهذا الرقم حقيقته، ومنهم من ذهب إلى أن المراد بهذا الرقم الكثرة في مرتبة الآحاد جرياً على عادة العرب الذين يريدون بإطلاق الرقم سبعة الكثرة في مرتبة الآحاد، وبالرقم سبعين الكثرة في مرتبة العشرات، وبالرقم سبعمائة الكثرة في مرتبة المئات. جاء في الإتقان[1] في أثناء الحديث عن الاختلاف في معنى الحديث المذكور: «ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة. ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئات، ولا يراد العدد المعين، وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه».

«قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة، لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ. ثم نسخ بزوال

---

(١) ١/١٦٤، وانظر: ١/١٧٠ **وفتح الباري** ٩/٢٦ حديث ٤٩٩٢، **والبرهان** للزركشي ١/٢٢٤.

العذر وتيسر الكتابة والحفظ. وكذا قال ابن عبدالبر والباقلاني وآخرون»[١].

وجاء في النشر[٢]: «وقال بعضهم: إن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة أولاً. فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم وهو أوفق لهم أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة».

وإليك هذا النص الطريف الذي ينبه إلى صعوبة التحول في النطق من لغة إلى لغة: «قال ابن جني: وحكى أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات، قال: قرأ عليّ أعرابي بالحرم. طيبى لهم، فأعدت فقلت: طوبى، فقال: طيبى، فأعدت فقلت: طوبى، فقال: طيبى. فلما طال عليّ قلت: طوطو، فقال طي طي[٣] قال تعالى[٤]: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾.

وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن وبعد أن تدبّر وجوه الخلاف في القراءات[٥] يقول معقباً[٦]: «وكل هذه الحروف كلام الله تعالى، نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام، وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان ما اجتمع عنده من القرآن فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، وييسر على عباده ما يشاء، فكان من تيسيره أن أمره بأن يُقرىء كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم.

---

(١) **الإتقان** ١/١٦٨.

(٢) ص ٣٢.

(٣) **لسان العرب**: «طيب».

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٩.

(٥) **تأويل مشكل القرآن** ٣٦.

(٦) **تأويل مشكل القرآن** ٣٨، وانظر: **دراسات في فقه اللغة** ـ د. صبحي الصالح ٦٦ فما بعدها.

فالهذلي يقرأ (عتى حين) يريد (حتى حين) لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها.

والأسدي يقرأ: تِعلمون وتِعلم و(تِسود وجوه) و(ألم إعهد إليكم).

والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز.. ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم وصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجّهم وطلاقهم وعتقهم وسائر أمور دينهم».

وجاء في الإبانة[1]: «أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد تعارف بينهم من عهد النبي ﷺ ترك الإنكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر، لقول النبي ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا بما شئتم. ولقوله: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف. ولإنكاره ﷺ على من تمارى في القرآن.. فكان كل واحد منهم يقرأ كما علِّم، وإن خالف قراءة صاحبه لقوله ﷺ: «اقرأوا كما علِّمتم».

مما سبق يتبين أن القرآن الكريم كُتب على عهد الرسول ﷺ وعلى عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه في ضوء الحديث النبوي الشريف الصحيح المتواتر: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا بما شئتم»، والحكمة وراء هذا الحديث التيسير على الأمة التي كان يصعب عليها قراءة القرآن الكريم على حرف واحد وعلى طريقة واحدة.

كما يتبين أن القرآن الكريم كتب على عهد عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد الثالث سنة ٢٥هـ على حرف واحد لأن الأمة الإسلامية آنذاك كانت

---

(١) ص ٤٦.

مستعدة لأن تقرأ القرآن الكريم على ذلك الحرف الواحد الذي يدخل تحته القراءات التي تتوافر فيها الشروط الثلاثة المشهورة، التواتر، موافقة اللغة العربية بوجه من الوجوه، موافقة خط المصحف الإمام ولو احتمالاً، كما يتبيّن أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صاحب العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على المصطفى ﷺ القاريء الكاتب الحافظ الثقة كاتب الوحي للمصطفى ﷺ هو الذي جمع القرآن الكريم بمعاونة عمر رضي الله عنه على عهد أبي بكر رضي الله عنه، وجمع القرآن الكريم على عهد عثمان رضي الله عنه. وبهذا يكون الخلفاء الراشدون الثلاثة في نسق أبو بكر وعمر وعثمان هم الذين باشروا عملية الجمع للقرآن الكريم. واعتماداً على المصحف الإمام الذي احتفظ به عثمان رضي الله عنه لنفسه، واعتماداً على النسخ الأخر التي تم نسخها من هذا المصحف الإمام والتي بعث بها عثمان إلى الأمصار وأبقى نسخة واحدة في المدينة المنورة تمت كتابة المصحف الشريف إلى يوم الناس هذا وسوف تتم بإذن الله تعالى إلى أن يرث عز وجل الأرض ومن عليها .

وإني في نهاية هذه الدراسة التي أرد بها على القس سويقارت وعلى الذين زودوه بتلك الشبهات والأباطيل لأتساءل: هل يجهل أولئك أنهم يثيرون ويرددون شبهات وأباطيل قديمة قد قتلها علماء الإسلام درساً وتفنيداً؟ إنهم لا يجهلون ذلك ولكنهم لا يملون من تكرار الشبهات ذاتها ونحن في المقابل لا نمل بإذن الله تعالى من الرد على تلك الشبهات وتفنيد تلك الأباطيل. وقد تبين من الرد على تلك الشبهات انحطاط القس سويقارت في تحريفه للنصوص إلى درك الكذب الصريح. وهل الذي لا يتورع عن ارتكاب جريمة الزني وخيانته زوجته وهو الذي يتبجح بإحسانه اختيار شريكة حياته لأن المسيحية لا تسمح بالزواج بأكثر من واحدة يتورع عن تحريف النصوص إلى درك الكذب الصريح؟ لا .

الخاتمة

بشأن الدراسة في الصفحات السابقة وعنوانها: «رد شبهات القس سويقارت في مناظرته الشيخ ديدات» وهي دراسة تدور حول الشبهات التي كالها القس سويقارت ضد القرآن الكريم وصدقه في كل ما أعطي ومنح، ومنها نصه الصريح على تحريف كل من التوراة والإنجيل، قمنا ـ مستعينين بالله تعالى وحده لا شريك له ـ في حدود الطاقة، بالرد على تلك الشبهات، إكمالاً للمجهود المشكور الذي قام به الشيخ أحمد ديدات المأجور بإذن الله تعالي. وفي إثباتنا لتحريف كل من التوراة والإنجيل اعتمدنا على آراء انتهى إليها متخصصون من القوم في نقد النصوص. وكما انتهى أولئك المتخصصون إلى تحريف كل من التوراة والإنجيل، لاشتمالهما على الكثير من الأخطاء التي لا يقبلها المنطق ولا العلم، انتهوا إلى صدق القرآن الكريم في كل ما أدلى به من حقائق كثيرة جداً، لم يتوصل العلم إلى بعضها إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. وقد دارت الدراسة حول أربعة عناوين تتعلق بالحكمة من تعدد الزوجات، وبسلامة القرآن الكريم من الاختلاف، وبتحريف كل من التوراة والإنجيل وسلامة القرآن الكريم، وبحفظ الله تعالى الكتاب العزيز إلى يوم الدين.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة التي بذلت فيها وسعي، وأن يتقبل منا جميعاً صالح الأعمال، إنه جل وعلا أكرم مسئول، وأعظم مأمول، وصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الباذش (أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري) كتاب **الإقناع في القراءات السبع**. حققه وقدم له: الدكتور عبدالمجيد قطامش، من التراث الإسلامي، الكتاب الثالث والعشرون، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ابن الجزري (الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي) **النشر في القراءات العشر**، تصوير دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني) **الإصابة في تمييز الصحابة**. دار إحياء التراث العربي. تصوير بيروت. لبنان. عن الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري تحقيق عبد العزيز بن عبد الله ابن باز. محمد فؤاد عبد الباقي. محب الدين الخطيب. المكتبة السلفية.

ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم) ٢١٣ - ٢٧٦هـ **تأويل مشكل القرآن**. بشرح وتحقيق: السيد صقر. الطبعة الثالثة ١٤٠١ - ١٩٨١م تصوير بيروت.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) **تفسير القرآن العظيم**. دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م. دار المعرفة بيروت. لبنان. الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ابن مجاهد (أبو بكر أحمد) **كتاب السبعة في القراءات**. تحقيق د. شوقي ضيف. الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر ١٩٨٠م.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) **لسان العرب**. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق) **الفهرست**، دار المعرفة للطباعة والنشر. تصوير بيروت. لبنان ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني) **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق محمد سيد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت. لبنان بدون تاريخ.

البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) **كتاب الصحيح**. كتاب الشعب ١٣٧٨هـ.

بوكاي (موريس) **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**. دار المعارف بمصر ١٩٧٩م.

خطاب (محمود شيت) **العسكرية العربية الإسلامية**. الدوحة. قطر صفر ١٤٠٣هـ.

الداني (الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد) **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النَّقْط**. تحقيق محمد أحمد دهمان. دار الفكر بدمشق ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

الزرقاني (محمد عبد العظيم) **مناهل العرفان في علوم القرآن**. عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الثالثة ١٣٦٢هـ ١٩٤٣م.

الزركشي (بدر الدين محمد بن عبدالله) **البرهان في علوم القرآن**. تصوير دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. مصورة عن نسخة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الزركلي (خير الدين) **الأعلام**. الطبعة الخامسة. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٨٠م.

سابق (السيد) **فقه السنة**. الطبعة الأولى. بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

السموءل (بن يحيى المغربي) **إفحام اليهود**. تقديم وتحقيق وتعليق دعبدالله

الشرقاوي. طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٧هـ.

السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٧٤م. تفسير الجلالين.

الصالح (د. صبحي) **دراسات في فقه اللغة**. دمشق ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م **مباحث في علوم القرآن**. الطبعة الثامنة. بيروت ١٩٧٤م

الضياء (مجلة) **العدد الثالث عشر**. السنة الرابعة. محرم ١٤٠٣هـ نوفمبر ١٩٨٢م الإمارات العربية المتحدة.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) **جامع البيان في تفسير القرآن**. بولاق ١٣٢٩هـ.

غزال (مصطفى فوزي) **فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات**. الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩١م توزيع دار القبلة للثقافة .

الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) **القاموس المحيط**.

القرطبي (أبو عبيد الله محمد بن أحمد الأنصاري) **الجامع لأحكام القرآن**. دار الشعب القاهرة. بدون تاريخ.

القيسي (انظر مكي)

كامل (د. عبد العزيز) **الإسلام والمستقبل**. اقرأ ٤٠١ دار المعارف بمصر ١٩٧٥م.

مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج) **صحيح مسلم**. شرح الإمام النووي. مصر ١٣٤٩هـ.

المغربي (انظر السموءل)

مكي (بن أبي طالب حموش القيسي) **الإبانة عن معاني القراءات**. تحقيق د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي. دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٨م.

والطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

الندوي (أبو الحسن) سيرة خاتم النبيين الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.

النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف) **تهذيب الأسماء واللغات**. تصوير بيروت.

ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي) **معجم البلدان**. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

فهرس الموضوعات